

الزواية التجانية بتماسين

قَصُّ الْعَرِيسِ النَّبَوِيِّ

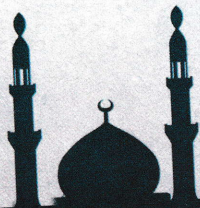
- المقاصد والغايات -



تأليف :

الدكتورة أمينة تجاني

2021
1443



الزاوية التجانية

بتماسين

قصص الحديث النبوي الشريف المقاصد والغايات

تأليف: الدكتورة أمينة تجاني

12 ربيع الأول 1443هـ

19 أكتوبر 2021 م

الزاوية التجانية
بتماسين

عنوان الكتاب:

**قصص الحديث النبوي الشريف
المقاصد والغايات**

تأليف: الدكتورة أمينة تجاني

مقاس الكتاب: 16 x 24 سم

عدد الصفحات: 128 صفحة

الإيداع القانوني: أكتوبر 2021

ردمك: 1-50-797-9961-978

طبع: دار الجائزة
القبة - الجزائر

يقول تعالى:

﴿ فَأَقْصِ الْقَصَصَ لَهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٧٦)

(الأعراف ، 176)

إهداء

إلى قائد الإنسانية ومعلم البشرية

سيدنا رسول الله ﷺ

إلى المهتدي بهديه والسائر على دربه

شيخنا الدكتور سيدي محمد العيد التجاني

مقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى والنبي المجتبى
والشفيع المرتجى، وعلى آله وصحبه مصابيح الدجى، وعلى كل من سار على
نهجه واقتدى، واهتدى بهديه واتقى.

اختار الله تعالى محمدا ﷺ رسولا إلى عباده لهدايتهم وتوجيههم إلى الصراط
المستقيم، فخصه بالوحي واجتباة لرسالته، واصطفاه ليكون - باسمه سبحانه -
بشيرا ونذيرا. فهو المختار من المولى - عز وجل - لتغيير حياة البشرية جمعاء
من النقيض إلى النقيض؛ من الكفر إلى الإيمان، من الظلام إلى النور... فهو
حامل لفكر مستنير وثقافة شاملة؛ دينية ودنيوية، صالحة لكل مجتمع في كل
زمان ومكان.

إن رسول الله ﷺ هو المسؤول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام
وأصول الشريعة، والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس
في حياتهم الدينية والدنيوية، وذلك من خلال شخصيته العملية التي جسدت
المنهج الرباني في جميع شؤون الحياة وسطرته في أحاديث وقصص رسمت
للمسلمين النموذج العملي والبرنامج الواقعي لما ينبغي أن يكون عليه سلوكهم
وأفعالهم وأقوالهم وعلاقاتهم بربهم، ثم بأهلهم وعشيرتهم وأمتهم والناس أجمعين.

لذا جاءت قصصه ﷺ امتدادا لقصص القرآن الكريم لتبين منهج الأمة
الإسلامية ودستورها في الحياة الذي ارتضاه الله عز وجل لها، فهي تخفي بين
طياتها مقاصد وغايات سامية تمس مجالات الحياة؛ السياسة والاقتصاد
والاجتماع والتربية والتعليم. وتذكر شخصيات ونماذج متنوعة من البشر حققت

نجاحا باهرا، كُلُّ في مجاله وحسب عمله، نماذج صالحة للقيادة والسَّير على طريقها لتحقيق النَّجاح.

ومن هنا حاولنا جمع قصص الحديث النَّبوي بحثا عن مقاصدها والغايات التي ترمي إليها من أجل الكشف عن البرنامج العملي لرسول الله ﷺ الذي يتعدَّى الجانب التَّعبدي إلى جميع مناحي الحياة؛ التَّربويَّة والتَّعليميَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسَّياسيَّة. البرنامج الذي يغنينا عن كل الدَّساتير الوضعيَّة والبرامج الغربيَّة في الإصلاح .

ولهذا قمنا بتصنيفها تصنيفا مغايرا لما وجدناه عند الباحثين، تصنيفا يتناسب مع مقام التَّبليغ الذي أدَّاه رسول الله ﷺ، فقد جاء ليبليغ منها رِثانًا صالحا للحياة الإنسانيَّة في كل عصر ومصر، وليجعلهُ دستوراً ينظم شؤون المسلمين كلها، وليغيِّر حياتهم وواقعهم إلى الأفضل بما يرضيهم دنيا ويرضي عنهم مولاهم في الأولى والآخرة .

فجاءت أجزاء الكتاب متتابعة ومتسلسلة تبعا لمقاصد القصص ومرتبَّة حسب الأولويَّات كالآتي:

القصة النبويَّة وهو مدخل يضم مفاهيم عامَّة حول القِصة عموما والقِصة النبويَّة خصوصا؛ تعريفها وخصائصها وأشكالها .

القصص ذات البعد التربوي وهو جزء يشمل القصص التي تهتم بتربية النَّفس وتهذيبها حتى تستقيم لله تعالى، وقد رتَّبناه أولا لأنَّ البناء يبدأ من الأساس، والرَّوح الإنسانيَّة هي المحطَّة الأساسيَّة في مسار التَّركية والارتقاء، فإذا تمَّ بناء الجانب الرُّوحي للعبد فإنَّ ذلك سينعكس حتما في السُّلوك سواء

أكان ذلك في البناء الاجتماعي أم في مختلف أنظمتة الاقتصادية والسياسية والثقافية .

القصص ذات البعد التعليمي وهو جزء يشمل القصص التي تهتم بتعليم المسلم في شتى المجالات، وقد جاء ثانياً لأنّ التعليم يمثل العمود الفقري لربط الأمم بهويّتها الحضارية والثقافية، وهو المعبر الرئيس لانخراط أبنائها في المسار المعرفي والتطوّر العلمي الذي يضمن استمراريتها في هذا العالم.

القصص ذات البعد الاجتماعي وهو جزء يضم القصص التي تناولت موضوعات اجتماعية؛ الأسرة والعائلة والمرأة ... وقد رُتّب ثالثاً، لأنّ تأهيل المسلم خلقياً وبنائه روحياً والسّمو به إلى مصافّ الصّالحين يجعله يضبط حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله وتفكيره وسلوكه مع نفسه ومع ربّه ومع الآخرين ومع المجتمع.

القصص ذات البعد الاقتصادي وهو جزء يضم القصص التي تنظم ميزان العدل وشريان التعاون بين المجتمع من أجل اقتصاد مزدهر تمتد أفيأؤه إلى الفرد والمجتمع، وقد جاء ترتيب هذا الجزء هو الرابع، لأنّ كل ذلك لن يحدث إلا في نفوس صقلّتها وزكّتها العبادة الصّحيحة لقيوم السموات والأرض.

القصص ذات البعد السياسي وهو جزء يتناول القصص التي تبين العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وطبيعة السّلطة وطرق التعامل مع السلطان. فهي ترسم خطّ سير الإمام العادل الذي يمثّل ظلّ الله في الأرض والنائب عنه في تسيير شؤون خلقه الظاهرة .

وفي الأخير نرجو أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم سبحانه وتعالى، وأن يقدم بعض النفع والإفادة للأمة، ويساهم في إثراء المكتبة الإسلامية، ويفتح آفاقا جديدة لقراءة الخطاب النبوي بمنظور معاصر.

ونسأل الله تعالى العفو عن كل هفوة أو زلة قلم، ونسأله أن يبارك مسعانا ويكمل أعمالنا بالنجاح وأن يلهمنا السداد فكرا وقولا والإخلاص عملا وتطبيقا، إنه نعم المولى ونعم النصير. والحمد لله رب العالمين الذي تتمّ بنعمته الصّالحات.

الفقيرة إلى الله تعالى

الزّاجية رضاه

أمانة تجاني

الفصل الأول

القصة النبوية

أولاً: مفهوم القصة

ثانياً: مفهوم القصة النبوية

ثالثاً: خصائص القصة النبوية

رابعاً: أشكال القصة النبوية

أولاً: مفهوم القصة

1- لغة :

جاء في مقاييس اللغة: "القاف والصاد: أصل صحيح يدل على تتبع الشيء من ذلك قولهم: قَصَّ الشيءَ يَقْصُهُ وقَصَصًا بمعنى تتبَّعه لأمر وغاية ينتهي إليها من ذلك التَّبَع. ومن ذلك قولهم: اقتصصت الأثر إذا تتبَّعته"¹.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْإِخْتَةُ قُصِيَّةً قُصِرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾²، أي تتبَّعي أثره لتعلمي خبره.

وقد يأتي القصّ "بمعنى البيان، ومنه قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام مع إخوته: ﴿مَنْ نَقْصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾"³. أي: نبين لك أحسن البيان، والفاصل من يأتي بالقصة"⁴.

وقد وردت مادة القصة في القرآن الكريم في عدّة مواضع وبعده معان تؤكد ما ذهب إليه أصحاب المعاجم، من ذلك:

- تتبّع الأثر في قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمَا قَصَصًا﴾⁵، أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصّان أثر سيرهما بمعنى يتبّعانه"⁶.

¹ ابن فارس، مقاييس اللغة: تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، م5، ص11.

² سورة القصص، الآية 11.

³ سورة يوسف، الآية 3.

⁴ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة، مصر، ط3، 1978، ج2، ص311.

⁵ سورة الكهف، الآية 64.

⁶ الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ، ج3، ص205.

- التبيين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾¹. أي يبين لهم ما اختلفوا فيه².

- الإنباء والإخبار في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾³. أي أنبأناك بأخبارهم⁴.

وعليه فالقصة في اللغة هي الأثر أو البيان أو الخبر الذي يتبعه المستمع ليصل إلى الغاية المنشودة، فالعليم بالآثار يسير وراء من يريد معرفة خبره، ويتتبع أثره حتى ينتهي إلى موضعه الذي حل فيه.

2 - اصطلاحاً:

ليس بعيداً عن المعنى اللغوي نجد أنَّ القصة في الاصطلاح هي الحكاية النَّثْرِيَّة الهادفة ذات الحبكة المترابطة، والمستوحاة من الخيال أو الواقع التي تعزّز الجوانب الإيجابية، وتخلو من الخرافات والمعاني السلبية⁵.

وتعدّ القصة "من الأنواع الأدبية البارة التي يمكن للقاص بها أن يقرّر المبادئ ويمكن للأهداف"⁶، من خلال رسم خطوات الحياة الإنسانية من كل الجوانب ليتتبع المتلقي أثرها حتى يصل إلى برّ الأمان. ولهذا فقد صاحبت

¹ سورة النمل، الآية 76.

² البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم، ج3، ص 205.

³ سورة غافر، الآية 78.

⁴ محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله تركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006، ج18، ص 384.

⁵ ينظر: وليد رفيق العيصرة، التربية الإسلامية، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2010، ص 571.

⁶ كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ، السعودية، ص 459.

الأُمَم من عهد البداوة إلى عهد ذروة الحضارة، فمكانتها ممتازة بين الفنون الأدبية لمرونتها، واتساعها للأغراض المختلفة، ولجمال أسلوبها، وخفتها على النفوس، وقد بلغ بها القرآن الكريم ذروة السمو والكمال.

ثانياً: مفهوم القصة النبوية

إنَّ مفهوم القصة النبوية لا يخرج عن مفهوم القصة كما عرفها العرب وكما جاءت في القرآن الكريم، وهو تتبُّع الأحداث الماضية وإبراز جانب العبرة فيها، حيث تتناول أخبار الماضين وأحداث الأولين، سواء كانوا من الأنبياء أم من أقوامهم مع التَّحديد الزماني والمكاني¹.

ولكنَّها تنفرد عن غيرها، لكونها "كقصة الأصل لا تنجح إلى الخيال الشارد الجموح، ولا للتعقُّق المفلسف الغامض، ولا للسطحية الفارغة الجوفاء المغطاة بقشرة خالية من بديع العبارة، وليست هي القصة التي وضع الغرب لها عشرات القواعد والشروط، ولكن هي القصة التي تقوم على سلامة فطرة القاص، وتكفي كل الكفاية في تقرير الغرض، وتروِّع كل الروعة في تسلسل الأحداث ولباقة الحوار، وتصوير الشخصيات، وتتبع فكرتها من أجناس النفوس الكائنة الحية"². "فلا تعالج أنماطاً من عالم المجهول، وإن جنحت إلى عالم غير منظور بنَّته على تباشير الحاضر الشَّاهد به، فربطت بينهما بسببية تمنع الطفرة، وبألفة تأنس بالرحلة، وهي في ذلك كله وفي غيره الوسيلة المشتهاة للنفس الطلقة،

¹ ينظر: مأمون فريز جرار، خصائص القصة الإسلامية، دار المنارة للنشر، جدة، السعودية، ط1، 1988، ص 113.

² كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 459.

والأسلوب الرائع المخدّر للوجدان تجوس معه حكمة الطبيب الرؤوف في القلب، وتقطع وتصل ليصحو في حلم ورحلة على حقيقة قلب وصحة واعتقاد¹.

إذا القصة النبوية هي القصة التي يحكيها النبي ﷺ عن نفسه أو عن الأمم السابقة أو المواقف الغيبية التي تندرج تحت باب القصص النبوي، والتي تهدف إلى بناء الإنسان وفق المبادئ الإلهية للمنهج الرباني المسطر في القرآن الكريم؛ وذلك للوصول إلى الأهداف الكبرى التي خلق من أجلها الإنسان: الخلافة، العبادة، العمارة.

ولهذا لم يذكر النبي ﷺ شخصيات نمطية اصطناعية ذات وجهة محدّدة، بل أبطال قصصه تنتمي إلى الواقع الوجودي بما فيه من خير وشر، وحب وكره، وطمع وحرص... بل في أغلب الأحيان تضع المسلم أمام نقيضين ليختار الأفضل، ويتّبعه كنموذج بشري ناجح يسير على خطاه ويتتبع أثره حتى ينجح في حياته مثله، ويقود مجتمعه لأنّ النّجاح أول معيار للقيادة.

وعليه فالقصة النبوية ترسم خطوات الأمة القائدة، والمؤمن النّاجح والمجتمع المثالي المتكافل اجتماعيًا، والمتعاون اقتصاديًا والمتطوّر علميًا. أي الأمة التي قال فيها تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾². وبهذا فهي تختلف عن القصة الفنية من حيث الخصائص والأشكال.

¹ كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 460.

² سورة آل عمران، الآية 110.

ثالثاً: خصائص القصة النبوية

إنَّ القصةَ النبويَّةَ أوسع وأشمل من القصص الفنيَّة الحديثة؛ لانتساع مجالاتها وتحرُّرها من القواعد والقيود التي وضعها الغرب وفرضها النقاد عليها، إنَّها ترسم منهاجاً سويّاً للقصة الأصل، وما ينبغي أن يكون عليه البناء القصصي الأصل.

وهذا يعني أنَّها "تحمل في ثناياها أوجه التشابه والالتقاء مع القصة الفنيَّة في عناصرها الأصليَّة وصورتها العامَّة من مثل سوقها في أسلوب قصصي يتتبع الحوادث ويوردها في إطار من التشويق والإثارة في عرض تُرتَّب فيه الحوادث في مواضعها، وتُحرِّك الشخَّصيات في مجالها، ويجد القارئ أو المستمع لها، أنَّه أمام مشاهد تعبِّر عن زاوية من زوايا الحياة، أو جانب من جوانب الفكر"¹. وزيادة على ذلك، فهي تعبِّر عن القيم الإسلاميَّة السامية، وتسعى إلى تحقيق غايات وأهداف نبيلة تبني المجتمع وتغيِّره للأفضل، وهو ما يجعلها في مصاف الروايات الجيدة، يقول (فورستر): "... فما تفعله الحكاية هو أنَّها تحكي حياة في زمن، أمَّا ما تفعله الرواية بأكملها فهو أنَّها تشتمل أيضاً الحياة بالقيم، هذا إذا كانت رواية جيِّدة..."². بل في الحقيقة نجد أنَّها تفوق الروايات الجيدة بما تحمله من خصائص وسمات تؤهلها لاحتلال مكانها المناسب في هذا الزمن الذي كثرت فيه القصص والروايات الهدامة.

¹ محمد حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، دراسة فنية موضوعية، المديرية العامة للمطبوعات، الرياض، السعودية، ط3، 1985، ص 91.

² أ.م. فورستر، أركان القصة، تر: عباد جاد، دار الكرنك، مصر، دط، 1960، ص 37.

1- السّمات الخاصّة:

أ- البيان:

تتميّز القصّة النبويّة بالبيان لأنّه ﷺ ينبوع لتهذيب وجدان الإنسان، وكما يقول الجاحظ في: "لم يسمع الناس بكلامٍ قطّ أعمّ نفعاً، ولا أقصدَ لفظاً، ولا أعدلَ وزناً، ولا أجملَ مذهباً، ولا أكرمَ مطلباً، ولا أحسنَ موقعاً، ولا أسهلَ مخرجاً، ولا أفصحَ معنًى، ولا أبينَ في فحوى، من كلامه ﷺ"¹.

فهو أفصح العرب لساناً، وأكملهم بياناً لقوله: "أعطيتُ جوامعَ الكلم"². ومن أبلغ بيانه ﷺ إنّ قصصه تعبّر عن لحظات الضّعف عند الإنسان بصورة رائعة تنقل تلك اللحظة بشغافية، وتتعدّها ببسر لتعلو بالمتلقي إلى مقام أسمى؛ وهذا هو الهدف المنشود، لهذا استعملت القصّة النبويّة ألفاظاً وعبارات عفيفة عند عرض موقف الفاحشة، ومن أمثلة ذلك:

قصّة «الكفل» التي وردت فيها هذه العبارة "على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرّجل من امرأته"³. وقصّة «أصحاب الغار» التي ورد فيها قول الذي راود ابنة عمّه عن نفسها: "لا والله ما هو دون نفسك"⁴. وردّها عليه: "اتّق الله ولا تفضّ الخاتم إلا بحقه"⁵.

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، دط، دت، ج2، ص17.

² البخاري، الصحيح، راجعه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط5، 2012، ج4، ص50.

³ أحمد بن حنبل، المسند، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، 1955، ج6، ص334، 335.

⁴ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص374 (رقم الحديث 3465).

⁵ المصدر نفسه، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص374 (رقم الحديث 3465).

ب - الواقعية:

القصة النبوية حقائق واقعية وقعت لأشخاص وأمم معيّنين، ولم تكن شخصياتها مصنوعة تضل المتلقي وتلقي به في متاهات الخيال (الحب المثالي، البطولة الخارقة...) بل جاءت مستخلصة من الواقع.

"تصوّر الإنسان تصويرا صادقا، فتعرض ما فيه من نوازع الخير والشر، وما ينطوي عليه من القوة والضعف... تحاول أن تسمو بالإنسان إلى آفاق عليا وتتقده ممّا لديه من استعداد للهبوط والالتصاق بقبضة الطين، وحينما تعبّر عن لحظة الضعف البشري لا تضع منها بطولية تستحق الإعجاب، بل تعرضها عرضا واقعيا كما أنّها لا تقف عندها طويلا، وإنّما تسرع لتسلط الأضواء على لحظات الاستعلاء والإنابة إلى الله عزّ وجل؛ لأنّها لحظات التغلب على الضعف البشري، وهي جديرة بالاهتمام"¹.

وكان هذا ديدنها لتعطي دليلا حسيا ملموسا للمتلقي، ولترسم له نهجا يخطّه في حياته حتى يصل إلى ما يطمح إليه، لهذا كان وقع هذه القصص شديدا وأثرها كبيرا على النفوس إلى درجة إحداث التّغيير في زمنه ﷺ، وهذا يعني إمكانية تحقيق التّغيير أيضا في زمننا لأنّ تأثيرها مستمر إلى يوم القيامة.

ج - الأهداف السّامية:

ليس غرض القصة النبوية إبهار المستمعين بالقدرات اللغوية والتّصويرية للرّسول ﷺ؛ لأنّه ليس من القصّاص، ولم يكن غرضه تحقيق الإمتاع والتّسلية، بل كان يسعى إلى أهداف عظيمة تسهم في تطوير الفرد والمجتمع.

¹ محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط8، 1993، ص 159.

ولهذا فالقصة النبوية تختلف عن غيرها من القصص في ناحية أساسية تتمثل في الهدف والغرض الذي جاءت من أجله، وبذلك فهي تسمو عن غيرها التي خلت من الحكمة والعظة، وطاف بأحداثها طائف من الخيال وتجردت عن الصّدق والواقع ولا يرجى من وراء سوقها هدف أو غاية.

2- السمات العامة:

خضعت القصة النبوية في موضوعاتها وطريقة عرضها، وإدارة حوادثها لمقتضى الأغراض والأهداف الدينية، وهذا الخضوع للغرض الديني لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها، فهي تشترك مع القصة من الجانب الفني على عكس ما عدّه البعض من كونها لا تتوفّر فيها العناصر الفنية، إذ تمتلك كل السمات الفنية؛ التشويق، الحبكة، التصوير، الدّروة، الزّمان والمكان ... وسنذكر بعضها لإبراز قيمتها الفنية العالية من جهة، ومن جهة أخرى لإثبات قدرتها على احتلال المرتبة الأولى التي تؤهلها للتّمثيل.

أ- الحبكة:

هي "طريقة مرسومة في التّتابع والتّراكم من أجل تحقيق الهدف المنشود في عرض الفكرة وفق طريقة قصصية تشوّق المتلقي وتؤثّر عليه"¹، بمعنى آخر تتابع الأحداث بطريقة معينة تسمح بتناميها تدريجيّاً وصولاً إلى الدّروة، ثمّ إلى الحل.

وتبيّن القصة النبوية من خلال نصوصها أنّها كانت تسير وفق طريقة معينة، في الكيفية التي تبنى فيها الحوادث، وتركّب المواقف؛ من حيث اختيار

¹ محمد حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، ص 186.

نوعيّة الحدث أو الأحداث التي تصلح لبناء القصة، وإتقان نسيجها من الدّاخل واختيار المكان المناسب الذي يوضع فيه الحدث بالضبط، وبكيفية معيّنة؛ هل يقدّم أو يؤخّر في سياق القصة؟ وكيف يتطوّر هذا الحدث؟ وما هي مبررات وجوده واستمراره؟¹

ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ: "كان برجل جراح، فقتل نفسه، فقال الله: بادرنى عبدي بنفسه حرّمت عليه الجنّة"².

فنحن أمام تتابع سريع للأحداث "وهذه السرعة في السّياق مقصودة في خطة القصة أساساً؛ وذلك لغرض الوصول إلى هذه النّهاية المؤسفة، وهو الوصول بالقارئ أو السّامع إلى نتيجة الانتحار ومآل المنتحر في آخر المطاف، لتقف القصة عند(حرّمت عليه الجنّة) وهي نهاية تبعث صدى رهيباً يظل يتردّد في الأسماع بإيحاءاته الرّهيبية وهي الحرمان من الجنّة"³.

ب- التّشويق:

وتظهر أهمّيّته في إضفاء الحيويّة على العمل القصصي وضمان استمرار المتلقي في متابعة الأحداث، وإثارة ترقبه وتوقعاته المختلفة لما سيحصل في المستقبل، وعلى أيّ كيفة ستجلّى الأمور، وتكمن أهمّيّته في بناء حبكة القصة؛ لما ينطوي عليه من تطوير للموضوع.⁴

¹ محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربيّة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1973، ص13

² البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 372 (رقم الحديث 3463).

³ محمد حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، ص 190.

⁴ ينظر: حسين القباي، فن كتابة القصة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، مصر، دط، 1965، ص 40، 41.

وكمثال على ذلك، قوله ﷺ: "وبينما امرأة في حجرها ابن لها ترضعه، إذ مرّ بها راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثل هذا، قال: فترك ثديها، وأقبل على الرّاكب فقال: اللهم لا تجعلني مثله... ثم مرّ بأمة تُضرب، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثلها، قال: فترك ثديها، وأقبل على أمّه فقال: اللهم اجعلني مثلها..."¹.

من خلال هذه القصّة تظهر المفارقة العجيبة بين دعاء الأم ودعاء ابنها، ما يشوّق المتلقي لمعرفة السّبب الذي دفع بالطفل لفعل ذلك ومخالفته لأمّه وهذا ما يجعله يتتبع الأحداث إلى آخرها.

ج - التّصوير:

المقصود به إعطاء صورة متكاملة عن الحدث أو الشّخصيّة، حتى كأنّ المستمع يقف أمام مشهد مصوّر بكامل أبعاده، لذا فإنّ التّصوير يشيع جواً من الحياة على القصّة بما يخلقه من حركات حيّة.

ومن أمثلة ذلك، قوله ﷺ: "اشترى رجل من رجل عقارا له، فوجد الرّجل الذي اشترى العقار في عقاره جرّة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك منّي، إنّما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الدّهب! وقال الذي له الأرض: إنّما ابتعتك الأرض وما فيها..."².

فالقصة تصوّر شخصيّة الرّجلين، فهما من "الصّنف الورع الأمين، المتحوّط لدينه، الخائف من الوقوع في الشّبهة برغم بريق الدّهب الزّاهي أمامهما"³.

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 374 (رقم الحديث 3466).

² المصدر نفسه، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 375 (رقم الحديث 3472).

³ محمد حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، ص 177.

رابعاً: أشكال القصة النبوية

تعددت أشكال القصة وتنوّعت بحسب مضامينها ومقاصدها، وهي وإن كانت تشترك مع الحديث النبوي في بعض الجوانب، إلا أنّها في عمومها مستقلة عنه؛ لكون مجالها أوسع وأكبر، فلا تنحصر في عصر من العصور، بل تمتد مساراتها ومسافاتها وتتسع مداراتها ومدرجاتها فتسع كل ما رواه النبي ﷺ من قصص عن الأمم الأخرى، والأحداث الغيبية والأخبار المستقبلية التي تأخذ في عمومها طابع الأسلوب القصصي.

وربما هذا السبب الذي جعل العلماء والباحثون يصنّفون القصص إلى:

1- قصص وقعت للرّسول ﷺ : كقصة الإسراء والمعراج ...

2- قصص تاريخية: كقصة أصحاب الأخدود ...

3- قصص غيبية: كقصة المسؤولية والجزاء ...

4- قصص تمثيلية: كقصة أصحاب السفينة...

5- قصص المستقبل: كقصة يأجوج ومأجوج ...

ولكن هذا التصنيف لا يناسب مقاصد رسول الله ﷺ وغاياته من القصص، فهو ليس مؤرخاً يتحدث عن أخبار الماضين، ويسجّل حياتهم وشؤونها كما يفعل المؤرخون. كما أنّه لا يؤرّخ لنفسه ولأمته من خلال ذكر القصص التي حدثت له. وليس راوياً أو قاصّاً يروي القصص لمجرد الإمتاع والتسلية وقضاء الوقت في الاستماع إليه في زمنه ﷺ، وقراءتها في أزمان أخرى؛ إذ ليس في ذلك هدف أو غاية يستلهمها القارئ أو المستمع ليهتدي بها إلى سبل السلام وتوصله إلى بر الأمان.

وهذا لا يمكن لأنه ﷺ أعلى شأنًا من ذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾¹.

فهو يسعى جاهدا من خلال قصصه إلى تحقيق أهداف سامية؛ تتمثل في تغيير التركيبة العقلية والنفسية للمسلم وما يتبعها من تغيير سلوكي. ولذا فهي تعالج قصصه الحياة الإنسانية من كل جوانبها؛ لأنها تتشابه رغم اختلاف الزمان والمكان "في استقامتها وانحرافها، وحتى النماذج البشرية المنحرف منها والمستقيم نماذج مكرورة ... فكأنما النصوص وهي تروي قصة فلان تحدثنا عما نعانيه من البلاء، أو ما ننعيم به من الرخاء، أو كأنما هي تحدثنا عن الحاكم العادل الذي يعيش بيننا، أو الجبار الطاغية الذي يصول ويجول مفسدا في الأرض، وقد تحدثنا عن نماذج إنسانية عادية، فقد يكون المتحدث عنه مزارعا صالحا أو تاجرا أمينًا صادقًا، أو إنسانا رحيما، وقد نرى هذا النموذج في فلاح نعرفه أو تاجر نتعامل معه أو رجل أصابتنا نفحات من رحمته"².

فالقصة النبوية تذكر نماذج مختلفة (تاجر، حاكم، عابد، بغي، قاتل ...) لتعالج موضوعات تربوية واقتصادية واجتماعية وتعليمية واقتصادية؛ لذا يجب تصنيفها حسب أبعادها التي ترمي إليها، وذلك لاستكشاف مقاصدها الحقيقية وتفعيلها في حياتنا اليومية.

وعليه يمكن تصنيف القصص إلى:

¹ سورة النجم، الآيتان 03، 04.

² عمر سليمان عبد الله الأشقر، صحيح القصص النبوي، دار النفائس، الأردن، ط7، 2007، ص15.

1- القصص ذات البعد التربوي:

وهي التي تُعنى بتربية المسلم تربية روحية، وتهذيب النفس البشرية وتصفيها من شهواتها ورعوناتها للوصول بها إلى أعلى مقامات الدين؛ مقام الإحسان. ومن أمثلة ذلك: قصة «التائب»، قصة «قاتل المائة»، قصة «صوت من السماء» ...

2- القصص ذات البعد التعليمي:

وهي التي تحوي علوما شتى تفيد العبد في دينه ودنياه، والعلوم عند الصوفية مدارها على أربعة أشياء: الله والنفس والدنيا والشيطان. وهذه العلوم هي التي تؤدي إلى المعرفة؛ لأن العلم بالله وصفاته وأفعاله يحدد للمسلم أي طريق يسلك: الخير أم الشر. والعلم بالدنيا تعلم المسلم قوانين الكون وسنن الحياة، فيكتشف أسرار النجاح في الدنيا والآخرة. والعلم بالشيطان يمكن المسلم من تقادي إغوائه حتى لا يقع في مستنقع الرذيلة، فيسقط من عين الله ويحل به غضبه وعقابه الدنيوي والأخروي. ومن أمثلة ذلك: قصة ...

3- القصص ذات البعد الاجتماعي:

وهي التي تصوّر الحياة الاجتماعية بكل أبعادها السيئة والحسنة، محاولة تسييرها وتحويرها نحو الأفضل دائما من أجل تكوين مجتمع إسلامي مثالي قادر على قيادة الأمم. على نحو جيل الصحابة الذي تخرج على يد المصطفى ﷺ فقاد الأمم ربحا من الزمن.

ومن أمثلة ذلك: قصص «جريح» و«الكفل» و«أصحاب الغار»

4- القصص ذات البعد الاقتصادي:

وهي التي تعرض النّظام المالي الإسلامي الذي جاء به القرآن الكريم، القادر على تسيير اقتصاد الدّول والمجتمعات على نحو أفضل من النّظم الاقتصادية الوضعيّة التي سبّبت أزمت مالية لا نهاية لها، والتي لا تزال تعاني من فشلها البشريّة إلى اليوم.

نظام مالي إسلامي يضمن الحياة الرّغيدة لكل النّاس من خلال الزّكاة، الصّدقات، تحريم الرّبا والاحتكار والغش والتّدليس في الأثمان وما إلى ذلك. ومن أمثلة ذلك: قصّة «الأجير» و«المقترض» و«المتصدّق» و«صوت سحابة».

5 - القصص ذات البعد السّياسي:

وهي التي توجّه الحياة السّياسيّة، وتبيّن العلاقة بين أصحاب الحكم والشّعب، وتبيّن طبيعة السّلطة؛ البعيدة عن التسلط والظلم والقهر، وعن عدم المبالاة والإعراض عن الخلق أيضا، فهي علاقة خدمة، لأنّ رئيس القوم خادهم، والسّلطان ظل الله في الأرض والنّائب عنه في تسيير شؤون خلقه الظاهرة.

ومن أمثلة ذلك: قصّة «الغلام»، قصّة «سارة والملك»...

الفصل الثاني

القصص ذات البعد التربوي

أولاً: قصص المحبة

ثانياً: قصص الذكر

ثالثاً: قصص الحمد

رابعاً: قصص العدل

خامساً: قصص العفو

سادساً: قصص الصبر

سابعاً: قصص الرحمة

ثامناً: قصص الحياء

تاسعاً: قصص التوبة

تمهيد

لم تكن رسالة المصطفى ﷺ تتوقّف عند تغيير المعتقد فحسب، وإنّما تتعدّاه إلى تغيير السلوك الفردي والاجتماعي؛ إذ كان يسعى إلى إتمام مكارم الأخلاق على الدوام، ولذلك بدأ بنفسه حتى يكون أنموذجاً يقتدى، فعمل جاداً ليتممها بذاته، بسلوكه، وبقوله وبرسالته. إنّهُ لم يبعث لينشر الأخلاق الكريمة فحسب وإنّما بعث ليتمم مكارمها ويرسم القمم من مكارم الأخلاق، ويوجّه إلى السنام منها، ويقود إلى المشارف العليا من درجات المقرّبين¹. وقد فسّرت عائشة - رضي الله عنها - خُلُقُ النَّبِيِّ ﷺ فقالت: "كان خلقه القرآن".

ولذلك كانت غايته ﷺ من القصص التّربويّة هي تربية المسلم في كل زمان ومكان، وتركّية نفسه وتهذيبها باتّصافها بمكارم الأخلاق في خطوة أولى إلى بناء الجانب الرّوحي للعبد باعتبار أنّ الرّوح الإنسانيّة هي المحطّة الأولى والأساسيّة في مسار التّركّية والارتقاء، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾². ومن ثمّة دفعه إلى تفعيلها في البناء الاجتماعي بجميع أنظمتها الاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة .

¹ عبد الحليم محمود، السّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتبة العصريّة، بيروت، ص15

² سورة الجمعة، الآية 02.

أولاً: قصص المحبة:

تشمل محبة الله ورسوله وعباده

1- قصة «محبة الله تعالى للعبد»

يقول رسول الله ﷺ: "إذا أحبَّ الله عز وجل العبد قال لجبريل: يا جبريل إني أحبَّ فلانا فأحبّه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء، إنَّ الله يحبَّ فلانا فأحبّوه. فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في أهل الأرض"¹.

إنَّ الفوز بمحبة الله تعالى هي أقصى ما يطمح إليه المسلم لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾². ولكن هذه المحبة تستوجب محبة العبد لله تعالى أولاً، واتباع رسوله ﷺ ثانياً، وذلك بالتخلُّق بأخلاقه وممارستها في الحياة اليومية كالإحسان والتقوى والتوبة والتوكل والصبر...

2- قصة «أهل النظرة»

يقول رسول الله ﷺ: "إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد، إنَّ لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، قالوا: ألم تبيض وجوهنا؟ وتنجنا من النار؟ وتدخلنا الجنة؟ قال: فيكشف الحجاب. قال: فوالله ما أعطاهم الله شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إليه"³. إنَّ الغاية من هذه القصّة هو الكشف عن حقيقة رؤية المؤمنين لله عزَّ وجل يوم القيامة، والقصد من ذلك حث المؤمن على العمل في الدنيا

¹ البخاري، الصحيح، ج4، كتاب الأدب، ص 82 (رقم الحديث 6040).

² سورة آل عمران، الآية 31.

³ أحمد بن حنبل، المسند، ج4، ص 332.

من أجل الفوز بهذه الرؤية في الآخرة، وحتى يكون من الذين قال فيهم تعالى:
﴿وَجُودٌ بِوَمِيذَنَاضِرَةٍ ۝٣٣ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ۝٣٤﴾¹.

3- قصة «أهل الرضوان»

يقول رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فيقولون: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدِيكَ، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: أنا أعطيتكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا"².

المحبة والرضوان والنظر إلى الرحمن ثواب عظيم يرجوه كل مؤمن وللفوز به لا بد من اتباع رسول الله ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، والاتصاف بالصفات التي ذكرها تعالى في كتابه العزيز، منها قوله: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾³، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۝٣٣﴾⁴. وقوله أيضا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ۝٤﴾⁵، وقوله أيضا: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ۝١٥٦﴾⁶، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٧﴾⁷.

¹ سورة القيامة، الآية 22، 23.

² البخاري، الصحيح، ج4، كتاب الرقاق، ص 192 (رقم الحديث 6549).

³ سورة البقرة، الآية 195.

⁴ سورة البقرة، الآية 222.

⁵ سورة التوبة، الآية 04.

⁶ سورة آل عمران، الآية 146.

⁷ سورة آل عمران، الآية 159.

وهذه الصفات؛ التوبة والتقوى والإحسان والصبر والطهارة والتوكل ... هي التي يسعى رسول الله ﷺ إلى غرسها في نفوسنا وتجسيدها في حياتنا حتى ننعم بالسعادة في الدنيا، ونفوز بالنظر إلى الله عز وجل يوم القيامة.

4- قصة «أيوب والبركة»

يقول رسول الله ﷺ: "بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك"¹.

تكشف هذه القصة عن عطاء الله تعالى لنبيه أيوب عليه السلام (ألم أكن أغنيك عما ترى)، ومع ذلك فهو لم يستغن عنه رغم كونه نبي لقوله: (لا غنى لي عن بركتك).

والقصد من وراء هذه القصة هو تعلق العبد بربه والطمع في بركته لأنه حتى وإن كان غنياً أو عالماً أو عابداً فلا غنى له عن بركة الله تعالى وعطائه. وهذا ما يجعل قلب المؤمن متعلقاً بالله دون سواه، طامعاً في رضاه، كثير التذلل والدعاء والرجاء، فيقول كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾².

وخلاصة القول: إنَّ محبة الله تستوجب اتباع رسول الله ﷺ، واتباعه يستوجب محبته وهو أهل لها لأنه سبقنا بالمحبة والمودة، وهذه القصص الآتية تكشف عن مقام الحبيب المصطفى ﷺ عند ربه، وتبين محبته لأُمَّته وشفقته عليها من العذاب يوم القيامة، ودعائه لها بالنَّجاة، وشفاعته لها يوم الحساب.

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 350 (رقم الحديث 3391).

² سورة القصص، الآية 24.

قصص محبة الرسول ﷺ

1- قصة «الإسراء والمعراج»

يقول رسول الله ﷺ: "بينما أنا عند البيت بين النَّائم واليقظان - وذكر يعني رجلا بين الرجلين - فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيمانا، فشَقَّ من النَّحر إلى مَرَقِّ البطن، ثمَّ غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ حكمة وإيمانا، وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار؛ البراق، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السَّماء الدنيا قيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيتُ على آدم فسَلَّمْتُ عليه فقال: مرحبا بك من ابن ونبي.

فأتينا السَّماء الثانية قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيتُ على عيسى ويحي فقالا: مرحبا بك من أخ ونبي، فأتينا السَّماء الثالثة، قيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيتُ على يوسف فسَلَّمْتُ عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبي.

فأتينا السَّماء الرابعة، قيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيتُ على إدريس فسَلَّمْتُ عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبي، فأتينا السَّماء الخامسة، قيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتينا على هارون فسَلَّمْتُ عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبي.

فأتينا السماء السادسة، قيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على موسى فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبي، فلما جاوزت بكى فقيل: ما أبكاك؟ قال: يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي.

فأتينا السماء السابعة، قيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء، فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من ابن ونبي، فرفع لي البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم، ورفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار؛ نهران باطنان ونهران ظاهران، فسألت جبريل فقال: أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران؛ النيل والفرات.

ثم فرضت عليّ خمسون صلاة فأقبلت حتى جئت موسى، فقال: ما صنعت؟ قلت: فرضت عليّ خمسون صلاة، قال: أنا أعلم بالناس منك عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تطيق فارجع إلى ربك فسله، فرجعت فسألته فجعلها أربعين، ثم مثله ثم ثلاثين، ثم مثله فجعل عشرين، ثم مثله فجعل عشرا، فأتيت موسى فقال: مثله فجعلها خمسا، فأتيت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها خمسا، فقال: مثله، قلت: فسلمت فنودي إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزى الحسنة عشرا¹.

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب بدء الخلق، ص307، 308 (رقم الحديث 3207).

تكشف هذه القصّة عن مقام رسول الله ﷺ؛ إذ بلغ سدره المنتهى وأعطى ما أعطى وخففت الفريضة علينا مع عظم أجرها بفضلته هو ﷺ.

2- قصة «أنا لها»

يقول رسول الله ﷺ: "إنّه لم يكن نبي إلا له دعوة قد تنجزها في الدنيا وإنّي قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وأنا سيّد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوّل من تنشق عنه الأرض ولا فخر، وببيدي لواء الحمد ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر..."¹.

غاية هذه القصّة تتمثل في الفوز بالشفاعة يوم القيامة من سيّد المرسلين وأمل البشر أجمعين، لأنّه الرّحمة المهداة كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾². فما من مسلم إلا ويرجو نيل الشّفاعَة من صاحب الشّفاعَة، ولأجل ذلك ما عليه إلا محبة رسول الله ﷺ وتعظيمه والصّلاة عليه دائماً في الدّنيا، لأنّه صاحب أعلى مقام عند الله عز وجل، وصاحب أعظم مكانة بين الأنبياء والمرسلين وصاحب الشّفاعَة يوم الدّين.

3- قصّة «أمتي يا رب»

يقول رسول الله ﷺ: "أنا سيّد النّاس يوم القيامة وهل تدرون ممّ ذلك؟ يجمع الله النّاس الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، يُسمعهم الدّاعي وينفذهم البصر وتدنو الشّمس فيبلغ النّاس من الغمّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول النّاس: ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربّكم؟

¹ أحمد بن حنبل، المسند، ج4، ص 187، 189.

² سورة الأنبياء، الآية 107.

فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم فيأتون آدم فيقولون له: أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمّاك الله عبدا شكورا، اشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليه من أهل الأرض، اشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله.. نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله فضلك برسالتك وبكلامه على الناس اشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد قتلت نفسا لم أوامر بقتلها، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى بن مريم.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما

نحن فيه؟ فيقول: إِنَّ رَبِّي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبا، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد. فيأتون محمدا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟

فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لرَبِّي عز وجل ثم يَفْتَحُ الله عليّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحِمير أو كما بين مكة وبُصرى¹.

إن رسول الله ﷺ يحب أُمَّتَهُ حتى إنّه اختبأ دعوته لأجلنا يوم القيامة، فيسأل الله عزّ وجل أن يدخلنا الجنة، ولا يرضى أن يدخل واحدا فينا إلى النار، وذلك رحمة بنا وشفقة علينا.

فلما نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾²، رفع رسول الله يديه إلى السماء وقال: "اللهم زد أمتي". فنزل قوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا﴾³، فرفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء وقال: "اللهم زد أمتي". فنزل

¹ البخاري، الصحيح، ج3، كتاب تفسير القرآن، ص 204 (رقم الحديث 4712).

² سورة القصص، الآية 84.

³ سورة الأنعام، الآية 160.

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾¹، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه إلى السماء وقال: "اللهم زد أمتي". فنزل قوله: ﴿إِنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾²، فرفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء وقال: "اللهم زد أمتي". فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾³.

فرفع رسول الله ﷺ يديه إلى السماء وقال: "يا رب لن أرضى وواحد من أمتي في النار. فقال تعالى: يا محمد، لو شئت جعلت أمر أمتك إليك. فقال رسول الله ﷺ: لا يا رب، أنت أرحم بهم مني. قال الله تعالى: إذن لا أخزيك فيهم أبدا".

فهذه المحبة تستوجب محبة في المقابل، ولهذا على كل مسلم استشعار محبة رسول الله ﷺ في حياته، وذلك بكثرة الصلاة عليه لأنه أهل لذلك، فهو سبب سعادتنا الأبدية؛ ألا وهي الفوز بالجنة ورضى الرحمن.

4- قصة «شفاعة المؤمنين»

يقول رسول الله ﷺ: "يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا، فيأتون آدم فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا، فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته ويقول: ائتوا نوحا أول رسول بعثه الله فيأتونه، فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته، ائتوا إبراهيم الذي اتخذ الله

¹ سورة البقرة، الآية 261.

² سورة الزمر، الآية 10.

³ سورة الضحى، الآية 05.

خليلًا، فيأتونه فيقول: لست هُنَاكُمْ ويذكر خطيئته، ائتوا موسى الذي كلمه الله، فيأتونه فيقول: لست هُنَاكُمْ ويذكر خطيئته، ائتوا عيسى فيأتونه فيقول: لست هُنَاكُمْ ويذكر خطيئته، ائتوا محمداً ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

فيأتوني فاستأذن على ربي فإذا رأيته وقعتُ ساجداً فيدعني ما شاء الله ثم يقال لي: ارفع رأسك سل تعطه، وقل يسمع واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمني، ثم أشفع فيحد لي حداً ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً مثله في الثالثة أو الرابعة حتى ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن¹ أي وجب عليه الخلود.

وخلاصة القول: إنّ شفاعة رسول الله ﷺ تستوجب محبته التي تتجلى في كثرة الصلاة عليه، ولهذا فإنّ الذكر أعظم وسيلة للفوز والفلاح، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾².

ولقوله أيضاً: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾³.
ولقوله أيضاً: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁴. ولقول رسول الله ﷺ: "سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذّاكرون الله كثيراً والذّاكرات"⁵. والقصص الآتية تبين ذلك.

¹ البخاري، الصحيح، ج4، كتاب الرقاق، ص 194 (رقم الحديث 6565).

² سورة العنكبوت، الآية 45.

³ سورة الجمعة، الآية 10.

⁴ سورة الأحزاب، الآية 35.

⁵ الإمام النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، اعتنى به: محمد علي قطب، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة جديدة، 2005، كتاب الأذكار، ص 319 (رقم الحديث 1436).

ثالثاً: قصص الذكر

1- قصة «الملائكة الطوافون»

يقول رسول الله ﷺ: "إن لله ملائكة سيّارة فُضْلاً يتتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر قعدوا معهم وحفّ بعضهم بعضاً بأجنتهم حتى يملأوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم: من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا من عند عبادك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهلّلونك ويحمدونك ويسألونك.

قال: وماذا يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك. قال: هل رأوا جنتي؟ قالوا: لا، أي رب قال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك. قال: وممّ يستجيرونني؟ قالوا: من نارك يا رب. قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا. قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك، فيقول: قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرّتهم ممّا استجاروا. قال: يقولون: رب فيهم فلان عبد خطّاء إنما مرّ فجلس معهم. فيقول: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم"¹.

تكشف هذه القصّة عن فضل ذكر الله تعالى؛ إذ يبيّن النّبي صلى الله عليه وسلم الغاية والهدف من الذّكر:

أولاً: عناية الله ورعايته للذاكر حيث سخر تعالى نوعاً خاصاً من الملائكة لأجل مجالس الذّكر؛ فهم الملائكة السيّارة الموقوفون لهذا العمل فقط.

¹ البخاري ، الصحيح ، ج4 ، كتاب الدعوات، ص 162 (رقم الحديث 6408).

ثانيا: حصول المغفرة والفوز بالجنة، والنَّجاة من النَّار، لقوله: (قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأَجَزْتُهم مِمَّا استجاروا)، بل أكثر من ذلك فوز جليسه بما فازوا به، لقوله: (هم القوم لا يشقى بهم جليسه).

فهذه الغاية مطمع كل مسلم ومنتهى أمانيه، والقصد من وراء ذلك هو دفع المسلم إلى ذكر الله تعالى والمداومة عليه، أو على الأقل اتباع أهله وتتبع مجالسهم، وذلك من أجل الفوز بالغفران والجنان، سواء أكان من أهل الذكر أم من جلسائهم، لأنَّ الذكر بما فيه من تلاوة للقرآن وتحميد وتهليل وتكبير وتسبيح وصلاة على الحبيب المصطفى خلوة مع الله تعالى، وفرصة لمناجاته، والتعلُّق به والتخلِّي عن السَّوى والأغيار، بخلو القلب من غيره وإفراده له وحده.

2- قصة «البطاقة الثقيلة»

يقول رسول الله ﷺ: "يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر له تسعة وتسعون سجلا، كل سجل على مدِّ البصر، ثم يقول الله عز وجل: هل تنكر من هذا شيئا؟ فيقول: لا يا رب! فيقول: أظلمتك كتبتي الحافظون؟ ثم يقول: ألك عن ذلك حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا. فيقول: بلى، إنَّ لك عندنا حسنات وإنَّه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدا عبده ورسوله، قال: فقال: يا رب؟ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنَّك لا تظلم. فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة"¹.

¹ أحمد بن حنبل، المسند، ج11، ص 175، 177.

تصوّر هذه القصة الموقف الرّهب للرجل وقد تراكمت عليه سجلات الذّنوب وخوفه من نهايته الأليمة وعاقبته الوخيمة، وحتى بعد أن بدا له بصيص أمل بظهور البطاقة إلا أنّه أمل ضعيف أمام هذه الكومة من السّجلات الطويلة والعريضة، حيث قال يائسا: ما هذه البطاقة مع هذه السّجلات؟ فجاءه ردّ الحقّ تعالى ليطمئنه: إنّك لا تظلم. فقلبت البطاقة حاله من خوف ويأس وانقطاع الرّجاء إلى فرحة وسعادة وحبور، فلا يثقل مع اسم الله شيء.

بطاقة حوت (لا إله إلا الله) ذكرها المسلم يوما ما مخلصا لله، صادقا، فكانت سبب نجاته من العذاب الأليم، فإذا كان هذا حال بطاقة واحدة فما بالك بالبطاقات الكثيرة؟ وما بالك بالذي يذكر الله تعالى دوما تهليلا وتحميذا وتسبيحا واستغفارا؟

إذن القصد الخفي وراء هذه القصة هو دفع المسلم إلى ذكر الله تعالى على وجه السرعة، حتى ولو كان مرّة واحدة لأنّ في ذلك نجاته من النّار وفوزه بالجنّة.

إنّ الذّكر متعدّد الوجوه، فالحمد والشكر ذكر، وبالمداومة عليه يرتقي المؤمن إلى محبة الله تعالى لآلائه ونعمائه، وتقتضي هذه المحبة اتّباع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعتداء به في مقام الشكر، حيث قيل له في قيام الليل: أتفعل هذا وقد غفّر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: أفلا أكون عبدا شكورا، وقد قال ﷺ: أحبّوا الله لما يغدوكم به من نعمه، وأحبّوني لحبّ الله، وأحبّوا أهل بيتي لحبي.

رابعاً: قصص الحمد

1- قصّة «الأبرص والأقرع والأعمى»

يقول رسول الله ﷺ: "إنّ ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص وأقرع وأعمى، بدأ الله عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكا، فأتى الأبرص فقال: أيّ شيء أحبّ إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، قد قدرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، فأعطني لونا حسنا وجلدا حسنا، فقال: أيّ المال أحبّ إليك؟ قال: الإبل أو قال البقر، هو شكّ في ذلك: أنّ الأبرص والأقرع؛ قال أحدهما: الإبل وقال الآخر: البقر، فأعطني ناقة عشراء، فقال: يبارك الله لك فيها.

وأتى الأقرع فقال: أيّ شيء أحبّ إليك؟ قال: شعر حسن ويذهب عني هذا فقد قدرني الناس، قال: فمسحه فذهب وأعطي شعرا حسنا، قال: أيّ المال أحبّ إليك؟ قال: البقر، قال: فأعطاه بقرة حاملا ، وقال: يبارك لك فيها.

وأتى الأعمى فقال: أيّ شيء أحبّ إليك؟ قال: يردّ الله إليّ بصري فأبصر به الناس، قال: فمسحه فردّ الله إليه بصره، قال: فأتيّ المال أحبّ إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدّة. فأنّج هذان وولد هذا فكان لهذا واد من إبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من غنم.

ثمّ إنّهُ أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين، تقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثمّ بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بغيرا أتبلّغ عليه في سفري، فقال له: إنّ الحقوق كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرصا يقدرك الناس فقيرا فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: إن كنت كاذبا فصيرك الله

إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، فردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا، فقال: إن كنت كاذبا صيرك الله إلى ما كنت عليه. وأتى الأعمى في صورته فقال: رجل مسكين وابن سبيل، وتقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فردّ الله بصري وفقيرا فقد أغناني، فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته الله، فقال: أمسك مالك، فإنما ابتليتكم، فقد رضي الله عنك وسخط على صاحبك¹.

تكشف القصة عن ابتلاء الله سبحانه وتعالى لعباده، فكل البشر خاضعون لهذا القدر الإلهي، ولكنها تكتفي بذكر ثلاثة أنماط من البشر فقط؛ أبرص وأقرع وأعمى، "يمثلون الشّعور البشري بالنقص، والألم الوجداني للنّازلة، واللّهفة المكبوتة للنّجاة"². فهم في قمة الاحتياج للنّعمة وخاصّة الأبرص والأقرع لخطورة المرض ونفرة النّفس عنه، عكس الأعمى الذي تعتبر عاهته غير منفرة، ومرضه ليس مفرزا كصاحبيه .

خضع الثّلاثة لتجربة الابتلاء والامتحان من الله تعالى، "ونوع الامتحان بينهم يتماثل في الانتفاضة التي يعقبها الكمال الجسمي والغنى المحبوب، منحة إلهية لا يكافئها ثمن مهما جل"³. ولكن تختلف النّتائج ولا تتماثل لتغاير الفطر فهناك الشّقي والسّعيد، الجاحد والنّاكر، الحامد والشّاكر، ولهذا كان الجزاء من

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 372 (رقم الحديث 3464).

² كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 478.

³ المرجع نفسه، ص 477.

جنس العمل؛ زوال النعمة وفقدانها للجاحد (الأبرص والأقرب)، وبقائها للشاكر (الأعمى).

وهذه النتيجة النهائية كما تنطبق على الجزء تنطبق على الكل، فالإنسان في هذه الدنيا معرض لامتحان كهؤلاء الثلاثة لأن الدنيا دار فتنة وبلاء، والآخرة دار مكافأة وجزاء، وهو إما شاكرا وإما كفورا وبناء على فعله سيتحمل النتائج المترتبة عليه؛ الجحود وما ينتج عنه من سخط الله تعالى وزوال نعمه الظاهرة والباطنة، الحسنة والمعنوية، الدنيوية والأخروية (الصحة والمال والبنين ...). الحمد والشكر وما ينجم عنه من رضى الله تعالى وزيادة في النعم وبركة في الرزق ومنح وعطايا في الدنيا والآخرة.

إن مقصد رسول الله ﷺ من هذه القصة هو دفع المسلم إلى حمد الله وشكره على الدوام حتى ينعم بالزيادة لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ¹﴾.

¹ سورة إبراهيم، الآية 07.

خامسا: قصص العدل

1- قصة «نوح وأمته»

يقول رسول الله ﷺ: "يجيء نوح وأمته فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغتكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ وهو قوله جل ذكره: ﴿وَكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾¹ والوسط العدل"².

إن غاية هذه القصة الكشف عن شهادتنا على الناس يوم القيامة، فالله سبحانه وتعالى يعلم أن نبيه نوح عليه السلام قد بلغ رسالته إلى قومه، ولكنه يلزمننا بالشهادة التي تستوجب منا أن نكون أمة وسطا مؤهلين لذلك. وهنا يتضح مقصد رسول الله ﷺ إلزامنا باتباع الصراط المستقيم؛ والسير وفق المنهج الرباني المسطر في القرآن الكريم، وذلك بترجمته حقيقة فعلية وحركة عملية وتفاعل اجتماعي وسلوك يومي، ينبئ عن فهم عميق للوسطية وقدرة كبيرة على تجسيدها في الحياة اليومية.

فالوسطية هي مؤهل الأمة الإسلامية من العدالة والخيرية للقيام بالشهادة على العالمين، وإقامة الحجة عليهم. ولا تتحقق هذه الأهلية إلا بالاستقامة على الصراط المستقيم واتباع المصطفى عليه الصلاة والسلام في كل حركة ونفس؛ في العبادات والأخلاق والمعاملات...

¹ سورة البقرة، الآية 143.

² البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 333 (رقم الحديث 3339).

2- قصّة «نبي ونملة»

يقول رسول الله ﷺ: "نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار، فأوحى الله إليه: فهلا نملة واحدة"¹.

إن الغاية من هذه القصّة الكشف عن ضرورة العدل في القصاص حتى ولو كان مع الحيوان، فهذا النّبي لم يسلم من معاتبة الله تعالى، لأنّ الحيوانات أمم أخرى لها حقوق في الإسلام، لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾².

والمقصد الخفي وراء هذه القصّة هو تطبيق العدل حتى مع الحيوان، فما بالك بالإنسان فهو أولى، فالعدل أساس الحياة.

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب بدء الخلق، ص 329 (رقم الحديث 3319).

² سورة الأنعام، الآية 38.

سادسا: قصص العفو

1- قصة «صوت من السماء»

يقول رسول الله ﷺ حاكيا لعائشة - رضي الله عنها - : "لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني على ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا"¹.

في قمة الشدة والعناء نجد رسول الله ﷺ يسامح ويعفو ويتأمل خيرا من قومه؛ إذ لقي "من العنت والعناء والهَمَّ ما لا حد له من هؤلاء القوم الجاحدين للحق، وما هو الآن يملك - بأمر الله - أن يأمر ملك الجبال فينزل بهم عذابا ساحقا، إنه يملك أن يطبق عليهم الأخشبين، فهل تأتي نهاية هؤلاء القوم على يد ملك قادر بأمر ربّه فينهي أمرهم في لحظات؟"²

ولكن موقف رسول الله ﷺ كان رائعا ومثيرا؛ فهو لم ينتقم لنفسه وذاته، بل على العكس من ذلك سامح رجاء أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبده وحده، وذلك حتى يعلمنا العفو، ويدفعنا إلى تبني سلوكا يوميا في حياتنا.

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب بدء الخلق، ص 313 (رقم الحديث 3231).

² محمد حسن الزير، قصص الحديث النبوي، ص 147.

وهذا ما فعله أيضا مع قومه يوم الفتح الأعظم حين سألهم: "يا معشر قريش ما ترون أنني فاعل بكم؟ قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء"¹.

فالعفو عند المقدرة من أعظم الصفات وأقدرها على التغيير الفوري، ووقعها أعظم في النفوس وأثرها أكبر، وهو ما جعل الناس يدخلون في دين الله أفواجا. فالعمل يجب أن يكون تصديقا للكلام، لأن الآخر "لا يَغْفِلُ مِنَّا كلامنا فحسب بل يُرَاقِبُ سلوكاتنا، فإذا ما شعر بأنّ حقوقه مقدّمة على حقوقنا وفق مبدأ الإخلاص تجرّد من أسباب الصراع والنّزاع وأسفر ذلك عن تحاور صادق ويكون الشّعار التّنافس في التّخلق"².

2- قصّة «من يمنعك مني»

"عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أنّه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاء فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال: إنّ هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلّتا فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله ثلاثا. ولم يعاقبه"³.

¹ ابن هشام، السيرة النبوية، تح: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، ط1، 2003، ج4، ص41.
² أمانة بلعلی، الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار، نماذج من القرآن والحديث، مجلة التراث العربي، ع89، محرم 1424، 23 مارس 2003، ص 234 .

³ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب الجهاد والسير، ص 230 (رقم الحديث 84).

وبرواية أخرى: "انتبذ رسول الله ﷺ تحت شجرة قائلا والناس قائلون، فجاء غورث بن الحارث، والسيّف صلتا في يده فقال: من يمنعك منّي؟ فقال: الله فسقط السيّف من يده، فأخذه النبي ﷺ وقال: من يمنعك منّي؟! قال: كن خير آخذ، فتركه وعفا عنه، فجاء إلى قومه، فقال: جئكم من عند خير الناس¹.
إن عفو النبي ﷺ جعل هذا الكافر يؤمن بأنّ محمدا هو رسول الله، ويتحوّل من الكفر إلى الإيمان، حتّى أنّه ذهب إلى قومه فدعاهم إلى الإيمان به.

3- قصة «المتجاوز على المعسر»

يقول رسول الله ﷺ: "حوسب رجل ممّن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنّه كان يخالط الناس وكان موسرا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله عز وجل: نحن أحقّ بذلك منه، تجاوزوا عنه"².
الغاية من هذه القصّة الكشف عن كرم الله تعالى وعطائه للعافين عن الناس والمتجاوزين عنهم، فهذا الرّجل لم يكن له خيرا قط إلا التّجاوز عن النّاس ومسامحتهم، فنال بذلك عفو الله تعالى يوم القيامة.
والمقصود من ذلك حثّ المسلم على العفو في الدّنيا حتّى ينال عظيم الثّواب في الآخرة.

¹ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تح: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط14، 1990، ج3، ص 411.

² البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 370 (رقم الحديث 3451).

سابعاً: قصص الصبر

1- قصة «طلب النصرة»

"عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"¹.

في هذه القصة يدعو النبي ﷺ المسلم إلى عدم استعجال الأمر والتحلي بالصبر لأنه مفتاح الفرج لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُ هُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾².

وليس المقصود هنا أصحابه ﷺ فحسب، بل جميع المسلمين في كل زمان ومكان، فما علينا إلا العمل والصبر إلى أن يورث الله أرضه لمن يشاء من عباده لقوله تعالى: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾³.

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب المناقب، ص 402 (رقم الحديث 3612).

² سورة آل عمران، الآية 120.

³ سورة الأنبياء، الآية 105.

2- قصة «ماشطة ابنة فرعون»

يقول رسول الله ﷺ: "لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا أَتَتْ عَلَيَّ رَائِحَةُ طَيِّبَةٍ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ؟ فَقَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا. قَالَ: قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟ قَالَ: بَيْنَا هِيَ تَمْشِي ابْنَةَ فِرْعَوْنَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ سَقَطَ الْمِدْرَى مِنْ يَدَيْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَوْنَ: أَبِي؟ قَالَتْ: لَا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أَبِيكَ اللَّهُ، قَالَتْ: أَخْبِرْهُ بِذَلِكَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْبَرْتَهُ فَدَعَاها فَقَالَ: يَا فُلَانَةُ وَإِنَّ لَكَ رَبًّا غَيْرِي؟ قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ.

فَأَمَرَ بِبَقْرَةٍ مِنْ نَحَاسٍ فَأُخْمِيتْ ثُمَّ أُمِرَ بِهَا أَنْ تُلْقَى هِيَ وَأَوْلَادُهَا فِيهَا، قَالَتْ لَهُ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، قَالَ: وَمَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ: أَحَبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثُوبٍ وَاحِدٍ وَتَدْفِنُنَا، قَالَ: ذَلِكَ لَكَ عَلَيْنَا مِنَ الْحَقِّ. قَالَ: فَأَمَرَ بِأَوْلَادِهَا فَأُلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِدًا، وَاحِدًا إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا مُرْضِعٍ، وَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ، قَالَ: يَا أُمُّهُ اقْتَحِمِي فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ فَاقْتَحِمْتِ"¹.

تكشف هذه القصة عن امرأة خادمة لابنة ملك، ضعيفة لا تملك من أمرها شيء، مع ذلك وقفت في وجه فرعون الطاغية وكفرت به وصبرت على عذابه الشديد، لتكون أنموذجاً فذاً للمسلمين وخاصة في بداية الدعوة الإسلامية، "الأنموذج الذي يمثل استعلاء الإيمان أمام الكفر والطغيان، الإيمان المجرد من السلاح والقوى البشرية، يظهره المرء على الرغم من تبعاته الجسام، والمعاناة

¹ أحمد بن حنبل، المسند، ج3، ص 309.

التي سيعانيها ولكنه يطمع من وراء ذلك أن ينال حياة كريمة عند الله في جنّات النّعيم"¹.

وكأنّ بالنّبي ﷺ يقول لنا: ألا تستطيعون أن تكونوا مثل ماشطة ابنة فرعون؟ فبالرّغم من كونها امرأة ضعيفة وخادمة في قصر الملك الذي يملك زمام أمرها وأمر أسرتها، إلا أنّها وقفت وقفة بطوليّة قد يعجز عنها الرّجال؛ آمنت بالله وكفرت بفرعون وأعلنت ذلك صراحة دون خوف أو خشية، ولم يثنها ضعفها ولا العذاب الذي توعدّها به عن ذلك، بل صبرت صبرا عظيما وتحملت ما لا يطاق (حرق أبنائها أمام عينها) في سبيل الله تعالى.

والمقصود من القصّة الاتّصاف بالصّبر على الأذى وتحمل الشّدائد في سبيل الله وعدم الخوف من الكفرة مهما كانت سلطتهم وقوّتهم طمعا في مرضاة الله تعالى لقوله: ﴿إِنَّمَا فِي الصَّابِرِينَ أَجْرُهُمْ يَبْتَغِي حِسَابًا﴾².

¹ الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 291.

² سورة الزمر، الآية 10.

ثامنا: قصص الرحمة

1- قصة «رجل وكلب»

يقول رسول الله ﷺ: "بيننا رجل يمشي فاشتد عليه العطش، فنزل بئرا فشرب منها ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فنزل بئرا فملاً خقه، ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: في كل كبد رطبة أجر"¹.

2- قصة «امرأة وهرة»

يقول رسول الله ﷺ: "دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض"².

3- قصة «مومسة وكلب»

يقول رسول الله ﷺ: "غُفر لامرأة مومسة، مرت بكلب على رأس ركي يلهث قال: كاد يقتله العطش فنزعت خقه فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك"³.

في هذه القصص يسعى النبي ﷺ إلى معالجة النفس الإنسانية المركبة من طبيعتين مختلفتين: الخير والشر وما ينجم عنهما من خوف ورجاء؛ الخوف من العقاب والخسران، والرجاء في الثواب والنجاح.

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب المساقاة، ص 83 (رقم الحديث 2363).

² المصدر نفسه، ج2، كتاب بدء الخلق، ص 328 ، 329 (رقم الحديث 3318).

³ المصدر نفسه، ج2، كتاب بدء الخلق، ص 329 (رقم الحديث 3321).

"الخوف والرَّجاء قَوَّتَانِ مختلطتان في أعماق الكائن البشري، بحيث يوجَّهان اتَّجاهه في الحياة ويحدِّدان أهدافه وسلوكه كما يحدِّدان أيضا أفكاره ومشاعره؛ إذ إنَّه سيختار منهج حياته منطلقا من ذلك خوفه ورجائه"¹.

فالخوف من العقاب المتمثل في دخول المرأة النار، والطمع في الثواب المتمثل في المغفرة للرجل وللمومسة يجعل المسلم يتَّصف بالرحمة للحصول على المغفرة وإن كان مقترفا للذنوب كما هو حال المومسة. وهذا هو مقصد رسول الله ﷺ.

تاسعا: قصص الحياء

1- قصّة «موسى والحجر»

يقول رسول الله ﷺ: "إنَّ موسى كان رجلا حيّا سَتِيْرًا لا يُرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التَّستُّر إلا من عيب بجلده إمّا برص وإمّا أُدْرَة وإمّا آفة، وإنَّ الله أراد أن يبرِّئه ممَّا قالوا لموسى، فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثمَّ اغتسل، فلمَّا فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإنَّ الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فأروه عريانا أحسن ما خلق الله، وأبرأه ممَّا يقولون. وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إنَّ بالحجر لندبا من

¹ محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، بيروت، دط، 2000، ص 155.

أثر ضربه ثلاثا أو أربعاً أو خمسا"¹، فذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَّوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾².

تكشف هذه القصة عن شدة حياء موسى عليه السلام وقمة تسترّه إلى درجة اتّهامه بالنقص، "فزعّموا كذبا وزورا أنّ سبب استتاره عنهم وجود عيب في جسده يخفيه، إما انتفاخ في خصيته وهو الأدرة، أو برص في جسده وهو مرض يقدر الناس صاحبه، أو آفة من الآفات التي يسوؤه رؤية الناس له"³. ولكن الله تعالى برّاه مما يفترون .

ومقصد النبي ﷺ من هذه القصة هو توجيه المسلم إلى خلق كريم دعا إليه الإسلام؛ ألا وهو الحياء الذي يمثل "... شعبة من شعب الإيمان"⁴، ويدفعه للتّصاف به حتى يصبح صفة راسخة فيه. وكل ذلك من أجل تكوين شخصيّة إسلاميّة "ذات بنية نفسيّة وسلوكيّة سويّة ومتوازنة تتميّز بأفضل الممارسات الأخلاقيّة"⁵.

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 356 (رقم الحديث 3404).

² سورة الأحزاب، الآية 69.

³ الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 93.

⁴ مسلم، الصحيح، دار الفكر، بيروت، ط1، 1993، ج1، كتاب الإيمان، ص 42 (رقم الحديث 35-57).

⁵ معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي (التربية الصوفية نموذجا)، دفاتر مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، ص 144.

عاشرا: قصص التوبة

1- قصّة «فاقد الراحلة»

يقول رسول الله ﷺ: "لله أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلا وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهب راحلته حتى إذا اشتدّ عليه الحرّ والعطش أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده"¹.

وبرواية أخرى، يقول رسول الله ﷺ: "لله أشدّ فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فيئس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، قد يئس من راحلته. فبينما هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بحطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم، أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح"².

في هذه القصّة يبيّن رسول الله ﷺ فرحة الله عز وجل بتوبة عبده، هذه الفرحة التي تفوق "مقدار الفرحة التي تغمر كيان هذا الرجل الذي عاد إلى الحياة بعد أن عادت إليه راحلته، إنّه في فرحة تطغى على الحدّ المعتاد؛ تخرجه عن طوره حتى ليختلط عليه التعبير حين يريد أن يثني على ربّه الذي أعاد إليه راحلته، إنّه في فرح شديد يتجاوز كل فرح. ويعجز عنه الوصف"³. وكل ذلك حتى يدفع المسلم إلى التّوبة باستمرار لما فيها من فائدة له دنيا وأخرى.

¹ البخاري، الصحيح، ج4، كتاب الدعوات، ص 141 (رقم الحديث 6308).

² مسلم، الصحيح، ج2، كتاب التوبة، ص 593 (رقم الحديث 2747).

³ محمد حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، ص 146.

2- قصة «العبد يصيب الذنب فيستغفر»

يقول رسول الله ﷺ: "إن عبدا أصاب ذنبا وربما قال: أذنب، فقال: رب أذنبت، وربما قال: أصبت فاغفر لي، فقال ربّه: أعلم عبدي أنّ له ربّا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنبا أو أذنب ذنبا فقال: رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره، فقال: أعلم عبدي أنّ له ربّا يغفر الذنب ويأخذ به، غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا وربما قال: أصاب ذنبا، قال: رب أصبت أو أذنبت آخر فاغفره لي، فقال: أعلم عبدي أنّ له ربّا يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء"¹.

إذا كانت القصة السابقة تحتّ على التوبة، فهذه القصة تبين السبيل إلى ذلك؛ وهو مداومة الاستغفار لأنّ العبد غير معصوم من الخطأ ولكن خير الخطّائين التّوابون، وهذا ما جعل الله تعالى يغفر لعبده على الدّوام لأنّه دائم الاستغفار، بل زاد عن ذلك بقوله: (غفرت لعبدي ثلاثا فليعمل ما شاء) لأنّ "التائب من الذنب كمن لا ذنب له"² كما يقول ﷺ.

3- قصة «الكفل»

يقول رسول الله ﷺ: "كان الكفل لا يتورع عن ذنب عمله، فأنته امرأة فأعطاها ستين درهما على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت، فقال: ما يبكيك أأكرهتك؟ قالت: لا ولكنه عمل ما عملته قط،

¹ مسلم، الصحيح، ج2، كتاب التوبة، ص 598 (رقم الحديث 2758).

² عبد الرحمن بن عمر الشيباني، تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، تح: محمد عثمان الخشت، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1991، ص 96.

وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال: اذهبي فهي لك. وقال: والله لا أعصي الله بعدها أبدا. فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه: إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكَفْلِ¹. الكفل رغم سقوطه في الرذيلة وارتكابه للفواحش إلا أنه غُفر له، وذلك بسبب توبته لقوله: "والله لا أعصيه بعدها أبدا"، لحظة توبة أسفرت عن مغفرة، "أول صدقة للكفل هي آخر صدقة للكفل .. ستون دينارا.. آخر وثبة للجريمة هي أول وثبة للجنة سجّلت على بابه .. يا عجباً!"²

فالمقصد الحقيقي من هذه القصة هو الإسراع إلى التوبة ولو بلغت ذنوب العبد عنان السماء، وذلك للحصول على المغفرة والرحمة لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادِ الَّذِينَ آسَرُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾³. ومن ثمة تتحوّل التوبة من خلق روعي إلى فعل حقيقي ملموس في الواقع، فتوبة الكفل جعلته يترك المرأة لحال سبيلها دون أن يلمسها وقد أعطاه المال، فتوبته غيرت سلوكه الاجتماعي.

فالتوبة إذا قوة روحية واجتماعية في الوقت نفسه "تعمل على إعادة تنظيم عملية التفاعل الاجتماعي وإعادة نسج شبكة العلاقات الاجتماعية قصد ضمان سيادة السلوك الاجتماعي السوي، وذلك من خلال إرجاع الحقوق إلى أصحابها الحقيقيين الأمر الذي يتيح انتشار التضامن والتكافل والوحدة الاجتماعية، فهي تساعد على تفعيل التفاعل الاجتماعي الإيجابي"⁴.

¹ أحمد بن حنبل، المسند، ج6، ص 334، 435.

² كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 474.

³ سورة الزمر، الآية 53.

⁴ معتوق جمال وأوسرير محمد، الصحة الإيمانية، ص 147.

4- قصّة «رجل وغصن شوك»

يقول رسول الله ﷺ: "بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخّره ، فشكر الله له، فغُفِرَ له"¹.

إنّ إماطته للأذى أوجبت له المغفرة، وهذه النتيجة يطمح إليها كل إنسان فمنّ منّا لا يريد المغفرة، والعيش في نظافة وجمال؟

5- قصّة «قاتل المائة»

يقول رسول الله ﷺ: "كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلّ على راهب فأتاه، فقال: إنّهُ قتل تسعا وتسعين نفسا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمّل به مائة. ثمّ سأل عن أعلم أهل الأرض فدلّ على رجل عالم، فقال: إنّهُ قتل مائة نفس، فهل من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإنّ بها أناسا يعبدون الله فاعبد معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنّها أرض سوء .

فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنّهُ لم يعمل خيرا قط، فأتاها ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم. فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيّتهما كان أدنى فهو له، فقاوسوا، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة"².

¹ البخاري، الصحيح، ج1، كتاب الآذان، ص 158 (رقم الحديث 652).

² مسلم، الصحيح، ج2، كتاب التوبة، ص 602 (رقم الحديث 2766).

إذا كان الكفل قد تاب فعلا وجسد التوبة في حياته بتركه للفاحشة، فإنّ هذه القصة تكشف عن رجل ينوي التوبة إلى الله، ولكن الأجل لم يمهل حتى يحققها في حياته، ولكن الله تعالى قبل توبته وغفر له ورحمه برحمته الواسعة، ويتجلى ذلك في القول الفصل بين ملائكة الرحمة وملائكة العذاب: (قيسوا ما بين الأرضين فالى أيتهما كان أدنى فهو له). وفي تقليص المسافة بين التائب والأرض التي أراد التوبة فيها، وتمديد المسافة بينه وبين الأرض التي هاجر منها.

والمقصود من هذه القصة هو دفع المسلم إلى التوبة ولو كان في آخر حياته، وحتى لو ينوبها فقط ولم يحققها بعد، لأنّ الله رحيم بعباده، فهو الذي سبقت رحمته غضبه، ووسعت مغفرته كل شيء.

6- قصة «يطلب أن يحرق»

يقول رسول الله ﷺ: "إنّ رجلا حضره الموت فلما يؤس من الحياة أوصى أهله؛ إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً، وأوقدوا فيه نارا حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحّشت فخذوها فاطحنوها، ثم انظروا يوما راحا فاذروه في اليمّ ففعلوا، فجمعه الله فقال له: لِمَ فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك. فغفر الله له"¹.

يروى النبي ﷺ قصة هذا الرجل الذي طلب من أبنائه حرق جسده، وطحن عظامه، ونسف رماد جثته في البحر. فلم طلب الحرق؟ لم لم يدفن كغيره من البشر؟ ما المقصد والغاية من الحرق؟

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 370 (رقم الحديث 3452).

الغاية حصول المغفرة من الله تعالى، والمقصد دفع المسلم إلى الخوف من الله وخشيته، حتى ولو كانت في آخر لحظات الحياة وبداية سكرات الموت.

الحادي عشر: قصص المحبة في الله

1- قصة «الرجل الذي زار أخاه»

يقول رسول الله ﷺ: "أَنَّ رجلاً زار أخاه في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا، غير أنني أحببته في الله عز وجل. قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه"¹.

إن الغاية من هذه القصة الكشف عن الثواب العظيم لمن أحب أخاه في الله؛ إذ ينعم بحب الله تعالى أولاً، وهبات وعطايا ثانياً في الدنيا والآخرة لقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ ، نَادَاهُ مُنَادٍ: بِأَنَّ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّاتُ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا"².

وقوله أيضاً: "إِنَّ من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله. قالوا: يا رسول الله فخبّرنا من هم؟ قال: هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس".

¹ مسلم، الصحيح، ج2، كتاب البر والصلة والآداب، ص 519 (رقم الحديث 2567).

² النووي، رياض الصالحين، باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبته ومحبته، ص 108 (رقم الحديث 362).

وقرأ: ﴿الْأَنْبِيَاءَ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾¹.

والقصد الخفي وراء هذه القصة هو نشر ثقافة الأخوة بين المسلمين، ودفع كل واحد منهم إلى محبة أخيه في الله دون أيّ غرض آخر (علاقة قرابة أو مصاهرة أو تجارة أو ردّ للجميل...)، لأنّ المحبة تمثل قوة روحية حقيقية تتحوّل إلى ترجمة سلوكية في المجتمع فتفرض قيم التواضع واللين والإيثار والتعاون والأخوة...

قصص أخرى

1 - قصة «قاتل نفسه»

يقول رسول الله ﷺ: «كان فيمن قبلكم رجل به جرح، فجزع فأخذ سكيناً فحزّ بها يده، فما رقأ الدّم حتى مات، قال الله تعالى: بادرنى عبدي بنفسه حرّمت عليه الجنة»².

ذكر رسول الله ﷺ المقدّمة الثّانية ليوضّح للمخاطب سبل وأشكال قتل النّفس التي يجهلها؛ فقد يكون سبباً مادّياً (جرح) أو معنوياً (اكتئاب، يأس، قنوط...) . كما ذكر النتيجة ليقنع المتلقي بخطورة الفعل وإن كان له مبرّرات، وذلك من أجل دفعه للإحجام عنه.

2 - قصة «الرجل والخسف»

يقول رسول الله ﷺ: «بينما رجل يجرّ إزاره من الخيلاء خسف به، فهو يُجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»³.

¹ سورة يونس، الآية 62.

² البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 372 (رقم الحديث 3463).

³ المصدر نفسه، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 377 (رقم الحديث 3485).

نهض الفعل (يجرّ) في هذه القصّة بدور حاجي يتمثّل في دفع المتلقّي إلى تجنّب الكبر والعجب والخيلاء، لأنّ العظمة والكبرياء من صفات الله عز وجل التي لا ينازعه فيها أحد لقوله في الحديث القدسي: "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفه في النار"¹.

وما حدث لهذا الرّجل دليل على ذلك لأنّه "خرج يمشي مختالا بين قومه، يتهادى في مشيته ويجرّ إزاره من خلفه، فأغضب ربّه عليه، فخسف به الأرض كما فعل بقارون من قبله"².

فالنّبي ﷺ بتوظيفه هذا الفعل يوجّهنا إلى تجنّب العجب؛ سواء أكان بالجسد وامتداد القامة ولون البشرة أم بكثرة الأموال والأولاد أو بالجاه والسلطة لأنّ نتائجها وخيمة.

لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾³.
وقوله أيضا: ﴿وَلَا تَصْعَدْكَ لِنَاسٍ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾⁴.

¹ درويش جويدي، الأحاديث القدسية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2011، ص 214.

² الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 339.

³ سورة الإسراء، الآية 37.

⁴ سورة لقمان، الآية 18.

الفصل الثالث

القصص ذات البعد التعليمي

أولاً: قصة محاجة موسى آدم

ثانياً: قصة سليمان ونسائه

ثالثاً: قصة سليمان والمرأتان

رابعاً: قصة موسى والخضر

رابعاً: قصة موسى وملك الموت

رابعاً: قصة عيسى والسارق

رابعاً: قصة اليهود والنصارى

رابعاً: قصة الحشر

رابعاً: قصة مدينة الذهب والفضة

رابعاً: قصة أنعم أهل الدنيا وأشدهم بؤساً

رابعاً: قصة المسؤولية والجزاء

رابعاً: قصة الذي يدور في النار

رابعاً: قصة المذنب والعابد

1- قصّة «محادجة موسى آدم»

يقول رسول الله ﷺ: "احتجّ آدم وموسى فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنّة. فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثمّ تلومني على أمر قدّره عليّ قبل أن أخلق؟ فقال النبي ﷺ فحجّ آدم موسى، فحجّ آدم موسى" ¹.

في هذه القصّة ذكر النبي ﷺ حجّة آدم عليه السّلام التي غلب بها موسى عليه السّلام، فخطيئته لم تكن سبب خروجه وخروجنا من الجنّة، ولكنّها مشيئة الله تعالى قبل خلقه أصلاً. وقد أفحم موسى وهو نبي مرسل بهذه الحجّة وسدّت عليه كل منافذ الشك، وهي حجّة لكل من شكك في الأمر؛ فخرج آدم وذريّته من الجنّة كان قدرا مقدورا.

والمقصود من هذه القصّة عدم الخوض في هذه المسألة مجدّداً وتجنّب اتهام أبونا آدم عليه السّلام أو أمنا حواء بإخراجنا من الجنّة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعلمنا النبي ﷺ فنّ الحوار وتبادل الآراء، ومحاولة الإقناع بالحجّة، وعند وجود الدّليل توقيف الجدل.

2- قصّة «سليمان والمرأتان»

يقول رسول الله ﷺ: "خرجت امرأتان معهما صبيان لهما، فعدا الذّئب على إحداهما فأخذ ولدها. فأصبحتا تختصمان في الصّبي الباقي إلى داود عليها السّلام، فقضي به للكبرى منهما، فمرّتا على سليمان فقال: كيف أمركما؟

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 358 (رقم الحديث 3409).

فَقَصَّتا عليه. فقال: انتوني بالسَّكين أشقِّ الغلام بينهما. قالت الصَّغرى: أتشقه؟ قال: نعم. فقالت: لا تفعل، حظِّي منه لها¹.

يسعى النَّبي ﷺ في هذه القصة إلى تعليم المسلم استخدام الحكمة في القضاء، وعدم الاعتماد على الأدلَّة المادِّيَّة الملموسة فقط عند إصدار الحكم لأنَّها قد تكون مزيفة وغير حقيقيَّة، والاستعانة بالقرائن وبالأمارات عند غياب الأدلَّة كما هو الحال في هذه القصة التي غاب فيها الدليل القاطع؛ فكلام المرأة الأولى مقابل كلام الثانية، وكلتاها تقتقد إلى الدليل على صدقها.

لكن سليمان عليه السَّلام فكَّر في الأمر وبحكمته وجد حلاً يساعده على معرفة الأم الحقيقيَّة، فكان حُكْمُه شقُّ الغلام إلى نصفين وإعطاء كل واحدة منهما نصفاً، وبذا يعدل بينهما في الحكم. لكن النَّتيجة غيَّرت مسرى الحكم الأوَّل "فالأم الحقيقيَّة وهي الصَّغرى جزعت من الحكم لأنَّ فيه هلاك ولدها، فطابت نفسها به للأخرى لأنَّ في ذلك بقاءه وحياته، وإن كان فيه حرمانها من رعايته وتربيته، أمَّا الأخرى التي لا تربطها بالطفَّل رابطة الأمومة فإنَّها قبلت بالحكم الذي أظهره سليمان، فاستدلَّ سليمان بذلك على الأمَّ الحقيقيَّة، فحكَّم لها بالطفَّل على الرَّغم من إقرارها به للأخرى"².

فسليمان عليه السَّلام توصَّل بحكمته إلى معرفة باطن القضية، "فأوهمهما أنَّه يريد قطعه ليعرف من يشقُّ عليها قطعه، فتكون هي أمَّه، فلمَّا أرادت الكبيرة قطعه عرف أنَّها ليست أمَّه، فلمَّا قالت الصَّغرى ما قالت عرف أنَّها أمَّه، ولم

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 363 (رقم الحديث 3427).

² الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 151.

يكن مراده قطعه حقيقة وإنّما أراد اختبار شفقتهم لتتميّز له الأم، فلمّا تميّزت بما ذكرت عرفها¹.

3- قصّة «سليمان ونسائه»

يقول رسول الله ﷺ: "قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفنّ الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه: إن شاء الله. فلم يقل إن شاء الله فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون"².

كان أمل سليمان عليه السّلام إنجاب فرسان يجاهدون في سبيل الله تعالى؛ إذ أقسم (على أن يطأ في ليلته تسعة وتسعين امرأة أو مائة، تلد كلّ واحدة منهنّ فارسا يقاتل في سبيل الله)، ولكنّ أمله لم يتحقّق وحنث في قسمه، ولم يولد له إلا نصف إنسان. وقد بيّن الرّسول ﷺ سبب ذلك وهو عدم قوله: (إن شاء الله)، على الرّغم من تذكير الملك له بأن يقولها، ويبدو أنّه كان مشغولا بأمور جعلته يغفل عن قولها، ليمضي قدر الله فيه، ولو قالها لم يحنث في يمينه ولتحقّق مراده كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ³.

فالهدف الذي يرمي إليه النّبي ﷺ في هذه القصّة هو دفع المؤمن إلى قول: "إن شاء الله" دائماً عند الحديث عن أيّ عمل في المستقبل وتعليق "أموره المستقبلية بمشيئة الله وإذنه، فهذا سليمان عليه السلام نبي الله يُحرّم من تحقيق

¹ المرجع السابق، ص 151.

² البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 210 (رقم الحديث 3424).

³ ينظر: الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 145.

مراده وغايته النبيلة من إنجاب مجاهدين في سبيل الله بسبب نسيانه التعليق
بمشيئة الملك الوهاب¹.

4- قصة «موسى والخضر»

يقول رسول الله ﷺ: "قام موسى النبي خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي
الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله
إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: يا رب وكيف
به؟ فقيل له: احمل حوتا في مكتل فإذا فقدته فهو ثمّ.

فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون وحمل حوتا في مكتل حتى كانا عند
الصخرة وضعا رؤوسهما وناما فانسل الحوت من المكتل ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ
سَرِيًّا﴾²، وكان لموسى وفتاه عجا، فانطلقا بقيّة ليلتهما ويومهما فلما
أصبح قال موسى لفتاه: ﴿إِنَّا عَدَاءُ الْقَدَّائِينَ مِمَّنْ سَفَرْنَا هَذَا نَصَبًا﴾³، ولم يجد
موسى مساً من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به فقال له فتاه: ﴿أَرَأَيْتَ
إِذَا أَوْتَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾⁴، قال موسى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا
نَبْتَغِي فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾⁵.

¹ حافظ محمد بادشاه، القصة النبوية، أهدافها وخصائصها الفنية، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب،
لاهور، باكستان، ع22، 2015، ص 141.

² سورة الكهف، الآية 61.

³ سورة الكهف، الآية 62.

⁴ سورة الكهف، الآية 63.

⁵ سورة الكهف، الآية 64.

فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بثوب أو قال: تسجى بثوبه، فسلم موسى فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا﴾¹. قال: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾²، يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم علمك لا أعلمه، ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾³.

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة فمرت سفينة فكلّمهم أن يحملوهما، فعرف الخضر فحملوهما بغير نول، فجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه، فقال موسى: قوم حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾⁴ قَالَ لَا تَأْخُذْ بِمَا تَصِفُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا⁵، فكانت الأولى من موسى نسيانا.

فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده، فقال موسى: ﴿أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾⁵، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ

¹ سورة الكهف، الآية 66.

² سورة الكهف، الآية 67.

³ سورة الكهف، الآية 69.

⁴ سورة الكهف، الآيتان 72، 73.

⁵ سورة الكهف، الآية 74.

لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾¹، قال ابن عيينة: وهذا أوكد، ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾²، قال الخضر: بيده فأقامه، فقال له موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾^{٧٦} قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾³، قال النبي صلى الله عليه وسلم: يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما⁴.

في هذه القصة طلب موسى عليه السلام من الخضر "الإذن له بمصاحبته ومتابعته، فقال له: إنك لن تستطيع معي صبرا. فتعهد له بأن يكون صابرا بإذن الله ومشيتته، فاشتراط عليه أن لا يسأله عن شيء حتى يعلمه هو بتفسيره، وبيئته له"⁵، ولكنه لم يصبر فيذكره الخضر في كل مرة، فيعتذر لنسيانه ثم يعيد الكرة ثانية وثالثا، ما أعذر صاحبه ففارقه نتيجة عدم التزامه بوعده له (الصبر).

إن غاية النبي ﷺ من هذه القصة هو الكشف عن وجود علمين؛ العلم الديني والعلم اللدني، علم الشريعة وعلم الحقيقة. وهما علمان لا تعارض بينهما لأن مصدرهما واحد وإن اختلفا فيما بينهما، فكما في القصة لكل واحد منهما علم يخالف علم صاحبه اختصه الله به لقوله: (يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه لا أعلمه).

¹ سورة الكهف، الآية 75.

² سورة الكهف، الآية 77.

³ سورة الكهف، الآية 77.

⁴ البخاري، الصحيح، ج1، كتاب العلم، ص 40، 41 (رقم الحديث 122).

⁵ الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 85.

فموسى عليه السّلام حسب شُرْعِهِ ورؤيته الظّاهرة كان يرى فعل الخضر خطأ ومعصية وهو في الحقيقة صواب نظرا لرؤيته الباطنة، فموسى لم يكن يعلم أنّ الملك يأخذ كلّ سفينة من أصحابها غصبا، ولم يكن يدري أنّ الغلام سيكون كافرا في المستقبل ويكفر والديه، كما أنّه لم يكن يعلم أنّ تحت الجدار كنزا ليتيمين كان أبوهما صالحا، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء ولا رادّ لفضله وعطاءه.

وقصد النّبي ﷺ هو دفع المسلم إلى اتّباع الصّالحين أولا؛ أهل العلم اللدني، فموسى عليه السّلام اتّبع الخضر ولم تمنعه نبوّته ولا فضله ومكانته من أن يكون تابعا لمن هو أعلم منه كما أخبره بذلك سبحانه وتعالى.

والتّأدّب بآداب طلب العلم ثانيا؛ الاتّباع، والصّبر عند مصاحبتهم، الطّاعة وعدم الإنكار عليهم. وإذا أنكر شيئا فما عليه إلا أن "يستعلم منهم عن وجهة نظرهم فيما قاموا به مخالفين لما يظنّه الصّواب، فموسى كان يرى فعل العبد الصّالح خطأ وهو في الحقيقة صواب"¹.

فهو ﷺ يعلمنا الطّريق الصّحيح لطلب العلم ويبين لنا آداب المتعلّم مع معلّمه.

¹ الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 90.

5- قصّة «موسى وملك الموت»

يقول رسول الله ﷺ: "أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكّة*، فرجع إلى ربّه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطّت يده بكل شعرة سنة، قال: أي ربّ ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ الموت، قال: فالآن. ثمّ سأل ربّه أن يدينه من الأرض المقدّسة رمية بحجر. قال أبو هريرة: فقال رسول الله ﷺ: لو كنت ثمّ لأريتكم قبره إلى جانب الطّريق تحت الكثيب الأحمر"¹.

في هذه القصّة يبيّن النّبي ﷺ أنّ الموت حق لا بدّ منه، ولو نجا منه أحد لنجا منه أنبياءه ورسله، فحتى موسى عليه السّلام حاول الفرار منه ولكنّه لم يفلح، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾². وذلك حتى يدفع المسلم إلى العمل من أجل آخرته لأنّها هي الدّار الباقيّة والخالدة، أمّا الدّنيا فدار فانية.

فموسى عليه السّلام لما أتاه ملك الموت "وطلب منه أن يجيب ربّه وكان ذلك إيذاناً بأنّ أجله قد حضر، وأنّ ساعته قد دنت ... فما كان منه إلا أن لطم وجه الملك ففقأ عينه، أي عينه البشريّة التي تمثّل بها، وإلا فلو كان في صورته الملائكيّة لما استطاع موسى لطمه وما قدر عليه"³.

فشكا ملك الموت ذلك إلى ربّه فردّ عليه عينه، وأمره أن يرجع إلى موسى ويمدّد له عمره بقدر ما تغطّي يده ظهر ثور، بحيث يكون له بكل شعرة سنة.

*صكه: لطمه

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 357 (رقم الحديث 3407).

² سورة آل عمران، الآية 185.

³ الأشعر، صحيح القصص النبوي، ص 99.

ثم يكون بعد ذلك الموت الذي لا مفر منه، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾¹.

6- قصة «عيسى والسارق»

يقول رسول الله ﷺ: "رأى عيسى بن مريم رجلا يسرق فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلا هو، قال عيسى: آمنت بالله وكذبت نفسي"².

غاية النبي ﷺ في هذه القصة عدم محاسبة الناس بعضهم بعضا لأن ذلك متروك لله تعالى، فعيسى عليه السلام كذب عينيه وصدق السارق الذي أقسم بالله العظيم على أنه لم يسرق، وليس معنى ذلك أنه لا يفرق بين الصادق والكاذب ولكن اسم الله عنده أجل من أن يحلف به كذبا.

فكل نبي ورسول لم يبعث رقيبا على العباد ولا حسيبا، لأن الله هو وحده الولي والرقيب والحسيب وهو "لا يكلف الرسل وخاصة إذا لم يكونوا حكاما وقضاة محاسبة الناس ومعاقبتههم"³. لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾⁴.

¹ سورة القصص، الآية 88.

² البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 368 (رقم الحديث 3444).

³ الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 176.

⁴ سورة الرعد، الآية 40.

7- قصة «اليهود والنصارى»

يقول رسول الله ﷺ: "إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس أوتي أهل التّوراة التّوراة فعملوا حتى إذا انتصف النّهار عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتابين: أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين وأعطينا قيراطا قيراطا ونحن كنّا أكثر عملا ؟ قال: قال الله عز وجل: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا قال: فهو فضلي أوتيته من أشاء"¹.

الغاية التي يرمي إليها النّبي ﷺ في هذه القصة هو تبيان أفضليّة أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم التي استخلفها الله تعالى في أرضه (اليهود والنّصارى).

إنّ العمّال المستأجرين للعمل هم اليهود والنّصارى والمسلمون؛ فرفضت الفئة الأولى والثانية استكمال العمل فحرموا أجرهم، وهذا دلالة على كفرهم بمحمد ﷺ وتوليّهم عن الإيمان به بعد أن نسخت رسالته رسالاتهم. أمّا الفئة الثّالثة أكملت العمل ونالت الأجر مضاعفا دلالة على أمة محمد ﷺ التي آمنت بما سبق من الرّسالات، ولهذا فضّلت عن غيرها.

والمقصود من هذه القصة هو دفع المسلم إلى التمسك بالإيمان في حياته، وعدم اتّباع اليهود والنصارى.

¹ البخاري، الصحيح، ج1، كتاب مواقيت الصلاة، ص 138 (رقم الحديث 557).

8 - قصّة «الحشر»

يقول رسول الله ﷺ: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾¹، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام، وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي، فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم.

فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾² **﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدَاكَ وَلَنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**³.

يكشف النبي ﷺ في هذه القصّة عن حالة العبد يوم القيامة؛ إذ يكون عارياً بداية الأمر، ثم يكسى ثوباً يستره ويغطّيه، وهذا الثوب صنع يده ونتيجة عمله في الدنيا، وهو لباس التقوى، لقوله تعالى: ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكْمُرُ بِهِ رِيسًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾⁴.

وقصد النبي ﷺ من هذه القصّة هو حثّ المسلم على الاتّصاف بالتقوى في الدنيا حتى يستره تعالى ويكسوه يوم الآخر، فعلى مقدار التقوى يُكسى النّاس، يقول ﷺ: "بيننا أنا نائم رأيت النّاس يُعرضون عليّ وعليهم قمص منها ما يبلغ النّدي ومنها ما دون ذلك، وعُرض عليّ عمر بن الخطّاب وعليه قميص يجزّه،

¹ سورة الأنبياء، الآية 104.

² سورة المائدة، الآيتان 117، 118.

³ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 338 (رقم الحديث 3349).

⁴ سورة الأعراف، الآية 26.

قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال: الدّين"¹. فعلى قدر تقوى العبد في الدّنيا يكون لباسه وقميصه الذي يستتره في الآخرة.

9- قصة «مدينة الذهب والفضة»

يقول رسول الله ﷺ: "أتاني الليلة آتيان فابتعثاني، فانتبهنا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فتلقانا رجال؛ شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء، قالوا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النّهر، فوقعوا فيه، ثمّ رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السّوء عنهم فصاروا في أحسن صورة. قالوا لي: هذه جنّة عدن وذاك منزلك، أمّا القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فإنّهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيّئا، تجاوز الله عنهم"².

إنّ الغاية من هذه القصّة الكشف عن تجاوز المولى عز وجل عن سيّئات عباده يوم القيامة، وذلك من أجل دفع المسلم إلى القيام بالأعمال الصّالحة مهما كان نوعه أو حجمه؛ حتى إطعام جائع، أو كسوة يتيم، أو تعليم أمّي... فرسول الله ﷺ يعلّمنا ممارسة العمل الصّالح في الحياة اليوميّة حتى وإن كان العبد مقترفا لبعض الذّنوب، لأنّ ذنبه لن يخرجّه عن الملة المحمّديّة، وبالعكس من ذلك فإنّ خلط عمل صالح وآخر سيّئ يوجب المغفرة والتّجاوز من الله تعالى، وذلك رحمة -عزّ وجلّ- منه بعباده، لقوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ ذَلِكَ ذِكْرُ لِلذَّكَرِينَ﴾³.

¹ البخاري، الصحيح، ج1، ص 12.

² البخاري، الصحيح، ج3، ص 176.

³ سورة هود، الآية 114.

10- قصة «أنعم أهل الدنيا وأشدّهم بؤسا»

يقول رسول الله ﷺ: "يؤتى بأنعم أهل الدنيا يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط؟ هل مرّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشدّ الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ صبغة في الجنة فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤسا قط؟ هل مرّ بك شدة قط؟ فيقول: لا يا رب ما مرّ بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط"¹.

يبين النبي ﷺ في هذه القصة أنّ الشدة والرخاء في الحياة الدنيا لا يقاسان بمثليها يوم القيامة، فلحظة واحدة تُنسي العبد ما كان يعانيه من شقاء أو ما كان يتنعم فيه من سعادة، ولفظة (يصبغ) تستعمل للصوف، ففي لحظات يتغيّر لونه الأصلي إلى لون مخالف تماما، وكأنّه لم يكن هو. فكذاك العبد يصبغ باللون الذي اختاره في الدنيا؛ فإن عمل خيرا يصبغ بالأخضر في الجنة، وإن عمل شرا فيصبغ بالأحمر في نار جهنم، فعلى حسب العمل تكون الصبغة لأنّ الآخرة دار الجزاء والدنيا دار العمل.

والقصد الخفي الذي يسعى إليه رسول الله ﷺ هو حرصه على اختيار المؤمن الصبغة الأفضل، صبغة الإيمان والتقوى لقوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾².

¹ مسلم، الصحيح، ج2، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ص 628 (رقم الحديث 2807).

² سورة البقرة، الآية 138.

11- قصّة «المسؤولية والجزاء»

يقول رسول الله ﷺ: "هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا: لا. قال: لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد، قال بعض أصحابنا عن موسى: إنّه يدخل ذلك الكلوب في شذقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشذقه الآخر مثل ذلك ويلتئم شذقه هذا فيعود فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟ قالوا: انطلق.

فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدّهذه الحجر، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه، قلت: من هذا؟ قالوا: انطلق.

فانطلقنا إلى ثقب مثل التّور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقّد تحته نارا، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة فقلت: من هذا؟ قالوا: انطلق.

فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم على وسط النّهر، وعلى شطّ النّهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرّجل الذي في النّهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرّجل بحجر في فيه فردّه حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ قالوا: انطلق.

فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشّجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بي إلى الشّجرة وأدخلاني دارا لم أر قطّ أحسن منها فيها رجال شيوخ وشباب

ونساء وصبيان، ثم أخرجاني منها فصعدا بي الشجرة فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل منها فيها شيوخ وشباب.

قلت: طوّفتماني الليلة فأخبراني عما رأيته قالوا: نعم. أما الذي رأيته يُشَقُّ شِدْقُهُ فكَذَّابٌ يَحْدُثُ بِالْكَذِبَةِ فَتَحْمِلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ فَيَصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. والذي رأيته يُشَدَّخُ رَأْسَهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفَعِّلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ والذي رأيته في الثَّقَبِ فَهُمْ الزَّانَةُ. والذي رأيته في النَّهْرِ آكَلُوا الزَّبَا، وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالصَّبِيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ، والذي يوقد النَّارَ مَالِكُ خَازِنِ النَّارِ، وَالذَّارِ الْأُولَى الَّتِي دَخَلَتْ هِيَ دَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشَّهَدَاءِ، وَأَنَا جَبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالَا: ذَلِكَ مَنْزِلُكَ، قلت: دعاني أدخل منزلي، قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عَمْرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ"¹.

إِنَّ غَايَةَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ هُوَ الْكُشْفُ عَنِ الذَّنُوبِ وَالْأَفْعَالِ السَّيِّئَةِ الَّتِي يُمْكِنُ لِلْمُسْلِمِ اقْتِرَافُهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَتَبْيِينَ عَقُوبَتِهَا الشَّدِيدَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْخَالِدَةِ لَخُلُودِ الْحَيَاةِ فِي هَذَا الْيَوْمِ؛ إِذْ يَصَوِّرُ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفَ تَتَكَرَّرُ الْعُقُوبَةُ لِصَاحِبِهَا دَوْمًا وَاسْتِمْرَارًا دُونَ أَنْ تَتَوَقَّفَ وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ دَفْعِ الْمُسْلِمِ إِلَى اتِّقَاءِ هَذَا الْعَذَابِ وَتَجَنُّبِ الْأَفْعَالِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَيْهَا.

وَالْقَصْدُ الْوَاضِحُ وَالْجَلِيُّ مِنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ هُوَ حَرَصُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الشَّدِيدِ عَلَى إِبْعَادِ أُمَّتِهِ عَنْ هَذِهِ الْمَعَاصِي، وَحَنْثِهِمْ عَلَى التَّخْلِیِ عَنْهَا جَمْلَةً وَتَقْصِيلًا؛

¹ البخاري، الصحيح، ج1، كتاب الجنائز، ص 324 (رقم الحديث 1386).

الكذب وعدم العمل بكتاب الله، والزنا وأكل الربا وأكل المال الحرام وغيرها من الموبقات التي تخلّد صاحبها في النَّار وتذيقه أشدّ العذاب.

فالنَّبِيُّ ﷺ يعلمنا الطّريقة المثلى للنّجاة من هذا العذاب؛ وهو اجتناب المعاصي المسيّبة له، فاقتراف معصية واحدة منها فقط يوجب نوعاً من أنواع العذاب المذكورة، ولهذا ما على المسلم العاقل إلا الابتعاد عنها جميعاً ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

12- قصّة « الذي يدور في النار »

يقول رسول الله ﷺ: "يجاء بالرجل يوم القيامة، فتندلق أفتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النَّار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهى عن المنكر. قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية"¹.

نوع آخر من أنواع العذاب يوم القيامة يصوّره النّبى ﷺ، فهذا الرّجل لا يلقي في النَّار وينتهي الأمر، بل تنشقّ بطنه وتندلق أمعاؤه منها من غير أن تنفصل عنه، وليس هذا فحسب ولكنّه مع ذلك يدور بها في جهنّم في حركة مستمرة تشبه حركة الحمار وقد أخذ يدور بالطاحونة، وهي صورة مزريّة شنيعة إلى حدّ كبير جعلت أهل النَّار مع ما هم فيه من عذاب شاغل وهمّ مقيم يلتفتون إلى هذا الرّجل المثير في حركته العجيبة وهو يدور بأمعائه كما يدور الحمار برحاه².

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب بدء الخلق، ص 319 (رقم الحديث 3267).

² ينظر: حسن محمد الزير، قصص الحديث النبوي، ص 170.

والغاية من هذه القصة هو تجنب المسلم هذا الفعل الشنيع في الدنيا؛ أمر الآخرين بالمعروف وعدم إتيانه، ونهيههم عن المنكر وإتيانه في السر، لقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾¹.

فعلى العبد أن يكون لسان حاله يقول:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وعلى العكس من ذلك فإن النبي ﷺ من خلال هذه القصة يحث المؤمن على الأمر بالمعروف وأن يأتيه هو أولاً، وينهى عن المنكر وينتهي عنه هو أولاً، لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾².

¹ سورة الصف، الآية 03.

² سورة آل عمران، الآية 104.

13- قصة «المذنب والعابد»

يقول رسول الله ﷺ: يقول رسول الله ﷺ: "أَنَّ رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان. وإنَّ الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان. فإني قد غفرت لفلان، وأحببْتُ عملك"¹.

وبرواية أخرى: "كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أَقْصِرْ. فوجده يوماً على ذنب فقال له: أَقْصِرْ. فقال: خَلَّني وربِّي أُبْعِثْ عليَّ رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة. فقبض أرواحهما فاجتمعا عند ربِّ العالمين، فقال لهذا المجتهد: أَكُنْتُ بي عالماً، أو كنتَ على ما في يدي قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر اذهبوا به إلى النار".

يكشف النبي ﷺ في هذه القصة خطر تعدي العبد عن الله تعالى والتكلم نيابة عنه وكأنَّه قد ملَّك أمر النَّاس، فالرجلان في القصة متآخيان إلا أنَّ فعلهما متناقضان في الدُّنيا؛ أحدهما مَذْنِب والآخر عابد، وجزاءهما أيضاً متناقض يوم القيامة؛ إذ يذهب العابد إلى النار والمذنب يذهب إلى الجنة.

والسَّبب وراء ذلك هو تألِّي العابد على الله سبحانه وتعالى، وجزمه بأنَّ صاحبه لن يدخل الجنة أبداً، وكأنَّه عالماً بالله عز وجل، وقادراً على ما في يده، وهذا ذنب أعظم ممَّا اقترفه صاحبه، ما أوجب له النار، بعكس المذنب الذي كان يطمع دائماً في مغفرة الله عز وجل.

¹ مسلم، الصحيح، ج2، كتاب البر والصلة والآداب، ص 540 (رقم الحديث 2621).

والقصد الخفي وراء هذه القصة هو دفع المسلم إلى الإحجام عن هذا الفعل؛
التألي على الله وادعاء معرفة من يدخل الجنة من غيره، وهو فعل قد يقع فيه
الكثير لعدم علمهم بعاقبته.

14- قصة « شاب والزنا »

"أتى فتى من قريش فقال: يا رسول الله ائذن لي في الزنا، فأقبل القوم
وزجروه فقالوا: مه! مه! فقال عليه السلام: أدُّهُ، فدنا منه قريباً فقال: أحبّه
لأمّك؟ قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس يحبّونه لأمّهاتهم، فقال:
أحبّه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. قال: ولا الناس
يحبّونه لبناتهم ثمّ ذكر له رسول الله ﷺ أخته وعمّته وخالته وفي ذلك يقول
الفتى مقالته: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك. فقال له النّبي صلى الله
عليه وسلم: فكَذلك لا يرضونه النّاس لأعراضهم وبناتهم فوضع يده عليه
وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصّن فرجه¹.

كان النّبي ﷺ في هذه القصة "يرى أنّ هذا الشاب قد ملكته شهوته فأصبح
يرى كل شيء بمقياسه ومنظاره وبما تحبّه نفسه وتشتهيه"²، فأراد أن يقنعه
بخطأ فعله وفداحته ويثنيه عنه؛ فوضعه على حدّ سواء مع غيره وجعله يتبادل
الأدوار معهم بقوله: (فانظر هل ترضاه لأمّك وأختك وترتاح له نفسك كما هي
ترتاح وترضى أن تزني بنساء الآخرين).

¹ ينظر: أحمد بن حنبل، المسند، رقم الحديث 21185. وينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع
الفوائد، دار زاهد القدسي، القاهرة، دط، دت، ص 129.

² طه عبد الله محمد السباعوي، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت،
دط، دت، ص 160.

لم يقبل الشاب هذا الفعل لأُمّه وأخته وغيرهنّ ممّن يمثّلن شرفه وعرضه،
ومن ثمّة فإنّه لن يقبله لغيره وهذا ما دفعه إلى ترك هذا الفعل والإحجام عنه.
والقصد من هذه القصّة هو إبعاد الشّباب الذين قد يقعوا في نفس خطأ هذا
الشّاب عن الزّنا، وإقناعهم ببشاعة هذا الأمر لو مسّ عرضه وشرفه؛ أخته،
أُمّه، بنته، عمّته، خالته.... فما لا يقبله لنفسه يجب أن لا يقبله لغيره، لقوله
ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه".
وليعلّمنا ﷺ كيفيّة معالجة هذه الشهوة النّفسية عند الشّباب، وذلك بالحوار
والإقناع، لا بالعنف. ليبين لنا العلاج الأنفع لهذه الآفة الاجتماعيّة التي قد
تنخر بالمجتمعات الإسلاميّة.

الفصل الرابع

القصص ذات البعد الاجتماعي

أولاً: قصة زمزم

ثانياً: قصة أصحاب الغار

ثالثاً: قصة المتكلمين في المهد

رابعاً: قصة جريج

خامساً: قصة الأم والرضيع

تمهيد:

يهدف النبي ﷺ من خلال القصص الاجتماعية إلى تفعيل القيم الروحية في تنظيم الحياة الاجتماعية؛ الأسرة (الزوج والزوجة والأبناء)، العائلة (الوالدين، الإخوة)، المجتمع (المرأة، الولدان)... وذلك بإعادة صياغة السلوك الاجتماعي انطلاقاً من المبدأ الأخلاقي القائم "على مبدأ الحافزية الدينية والرمزية الروحية والدلالة الوجدانية، فيتمظهر في صور مثالية وسوية ومقبولة اجتماعياً"¹.

تدور موضوعات هذه القصص حول الأسرة والعائلة والمجتمع، فالأسرة هي النواة الأولى التي يُبنى عليها المجتمع وبصلاحها يصلح المجتمع وبفسادها يفسد، ولهذا ركّز النبي ﷺ عليها محاولاً تغيير المسلم؛ فكراً وسلوكاً من أجل تجسيد المثل العليا في المجتمع الإنساني من خلال الدعوة إلى تثبيت الدّائم الخُلقية المستمدة من المنهج الربّاني المسطر في القرآن الكريم.

1- قصة «زمزم»

يقول رسول الله ﷺ: "أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطقاً لتعفي أثرها على سارة، ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء، فوضعهما هناك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء، ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أمّ إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه

¹ معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية، ص 148.

إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: الله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا ثم رجعت.

فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾¹.

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا ما نغد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنتظر إليه يتلوى أو قال: يتلَبَّط، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا، فلم تر أحدا فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مرّات. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: فذلك سعي الناس بينهما.

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت: صه، تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضا فقالت: قد أسمعته إن كان عندك غواث، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال: بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال: لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معنا.

¹ سورة إبراهيم، الآية 37.

قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضيعة فإنّ ها هنا بيت الله، يبينه هذا الغلام وأبوه، وإنّ الله لا يضيع أهله.

وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالزابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله، فكانت كذلك حتى مرّت بهم رُفْقَة من جُرْهُم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء، فنزلوا أسفل مَكّة فرأوا طائراً عائفاً، فقالوا: إنّ هذا الطائر ليدور على ماء، لَعَهْدُنَا بهذا الوادي وما فيه ماء، فأرسلوا جَرِيّاً أو جريّين فإذا هم بالماء، فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا، قال: وأمّ إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك، فقالت: نعم، ولكن لا حقّ لكم في الماء، قالوا: نعم.

قال ابن عباس: قال النبي ﷺ: فألقى ذلك أمّ إسماعيل، وهي تحبّ الإنس، فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشبّ الغلام وتعلّم العربيّة منهم وأنفَسَهُم وأعجبهم حين شبّ، فلما أدرك زوّجوه امرأة منهم.

وماتت أمّ إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوّج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، ثمّ سألتها عن عيشتهم وهيئتهم فقالت: نحن بشرّ، نحن في ضيق وشدّة، فشكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السّلام وقولي له يغيّر عتبة بابي. فلما جاء إسماعيل كأنّه آنس شيئاً فقال: هل جاءكم من أحد، قالت: جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك فأخبرته وسألني كيف عيشتنا فأخبرته أنّا في جُهدٍ وشدّة. قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم أمرني أن أقرئك السّلام ويقول غير عتبة بابك، قال: ذاك أبي وقد أمرني أن أفارقك، الحقي بأهلك فطّقها.

وتزوّج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثمّ أتاهم فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج يبتغي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عيشتهم وهيئتهم فقالت: نحن بخير وسعة وأننت على الله، فقال:

ما طعامكم؟ قالت: اللحم. قال: فما شربكم؟ قالت: الماء، قال: اللهم بارك لهم في اللحم والماء. قال النبي ﷺ: لم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه. فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابيه. فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد، قالت: نعم أتنا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه، فسألني عنك فأخبرته وسألني كيف عيشتنا فأخبرته أنا بخير. قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك، قال: ذاك أبي وأنت العتبة أمرني أن أمسكك. ثم لبث عنهم ما شاء الله. ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبكي نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم، فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر، قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتا وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها.

قال: فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني حتى ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾¹، قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾² 3.

إن الغاية من هذه القصة هو الكشف عن دور المرأة الصالحة في تكوين الأسرة المثالية، وتربية الأبناء تربية جيدة وإعدادهم حتى يكونوا صالحين، وذلك

¹ سورة البقرة، الآية 127.

² سورة البقرة، الآية 127.

³ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 341، 342، 343 (رقم الحديث 3364).

حتى يتّضح الهدف من الزّواج؛ فهو لا يتوقّف على تحقيق المتعة الجسديّة وإشباع الرّغبات والشّهوات النّفسيّة، ولكن يتعدّى ذلك إلى تكوين أسرة صالحة طائعة لله تعالى قادرة على تحمّل الصّعوبات في سبيل إرضائه عزّ وجلّ.

أسرة تكون لبنة أولى لمجتمع مثالي يعتدّ به، قادر على قيادة المجتمعات الإنسانيّة جمعاء للخير والإحسان، والعدل والسّلام.

ولهذا انقسمت القصّة إلى شقّين؛ الزّوجة، وزوجّها الابن حتى تبيّن كيفيّة اختيار الزّوجة الصّالحة، وكيف يساعد الأب ابنه على الاختيار أيضا من أجل سعادته دنيا وأخرى.

يكشف الجزء الأوّل من القصّة عن طاعة سارة زوجة إبراهيم عليه السّلام لله تعالى ولزوجها؛ إذ لمّا تركها وطفلها الصّغير في وادٍ قفر غير صالح للعيش، غير أهل بالسّكان، تنعدم فيه سبل الحياة (الأكل والشرب)، لم تتمسّك به ولم تلحقه وإن كان بإمكانها ذلك، بل تركته يذهب لقولها: (اذهب يا إبراهيم فإنّ الله لن يضيّعنا).

امرأة ضعيفة غير قادرة على تحمّل هذا البلاء؛ الجوع والعطش والبقاء في العراء دون مسكن يقيها حر الشمس وظلمة الليل البهيم، ولكنّها مع ذلك قبلت ورضيت طاعة لله وتوكلا عليه وطمعا في رضاه، لتعطي أنموذجا رائعا ومثلا فذاً للمرأة الصّالحة التي توازر زوجها في أصعب الأوقات، وتعيّنه على تحمّل الصّعوبات، وتساعدّه على تخطّي العقبات من أجل الفوز دنيا وأخرى، ولهذا يقول النّبي ﷺ: "الدّنيا متاع، وخير متاع الدّنيا المرأة الصّالحة"¹.

¹ مسلم، الصحيح، كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا، ص 682 (رقم الحديث 1467).

أما الجزء الثاني من القصة فيذكر زوجتي إسماعيل عليه السلام وحوارهما مع إبراهيم عليه السلام الذي كشف عن نمطين مختلفين للمرأة؛ الأول: المرأة الجاحدة، الكثيرة الشكوى وغير الصابرة. والثاني المرأة الحامدة والشاكرة والصابرة.

ثم كشفت القصة عن مآل كل واحدة منهما؛ إذ أوصى إبراهيم عليه السلام ابنه بطلاق الأولى وإمساك الثانية، وهذه النتيجة تسببت فيها المرأة في الحالتين الالثنين. وبذلك يبين النبي ﷺ السبب الحقيقي وراء تفسخ عقد الزواج وتفكك الأسرة؛ وهو عدم صبر المرأة وعدم تحملها لمشاكل الحياة الزوجية، والشكوى الدائمة وبعدها عن الله تعالى.

والمقصود من هذه القصة هو دفع المؤمن إلى البحث عن المرأة الصالحة؛ الحامدة والشاكرة والصابرة والطائعة و... التي تتحلّى بالقيم الروحية وتنسّم بالأخلاق الربانية، التي تحافظ على بيتها وتسعد زوجها وتعينه على إكمال دينه، فالصّلاح هو الأوّل في التّرتيب عند اختيار الزّوجة لقوله صلى الله عليه وسلم: "تتكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاطفر بذات الدّين تربت يداك"¹.

وبذلك تتغيّر طريقة تكوين الأسر، فيسعى المؤمن إلى بناء أسرة مثالية تؤسّس لواقع جديد يُبنى على أسس صحيحة ومتينة حتى لا تنهار ولا يشرّد أبناؤها، ولا يضيع المجتمع في فوضى التّفكّك والانحلال.

¹ البخاري، الصحيح، ج3، ص 339.

2- قصّة «أصحاب الغار»

يقول رسول الله ﷺ: "خرج ثلاثة نفر يمشون أصابهم المطر فدخلوا في غار في جبل، فانحطت عليهم صخرة، فقال بعضهم لبعض: ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه.

فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت أخرج فأرعى ثم أجيء فأحلب، فأجيء بالحلاب فأتي به أبوي فيشربان ثم أسقي الصبية وأهلي وامراتي، فاحتبست ليلة فجئت فإذا هما نائمان، قال: كرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون عند رجلي فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عني فرجة نرى منها السماء، ففرج عنهم.

وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنني كنت أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء، فقالت: لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار، فسعيت حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله، لا تفضّ الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عني فرجة، قال: ففرج عنهم الثلثين.

وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنني استأجرت أجيرا بفرق من ذرة فأعطيته وأبى ذاك أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقرا وراعيها، ثم جاء وقال: يا عبد الله أعطني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك

البقر وراعيها فإنّها لك، فقال: أستهزئ بي؟ فقلت: ما أستهزئ ولكنّها لك، اللهم إن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنيّ، فكشف عنهم¹.

قدّمت هذه القصّة "ثلاثة نماذج من النفوس البشريّة الطيّبة وهي تقف على قمم من السّلوّك الإيجابي هي البر بالوالدين والعفّة عن الحرام مع القدرة عليه وحفظ الحق بل تنميته وآداؤه إلى أهله"². ومع كل نموذج تكشف عن هدف وغاية يطمح إليها كل مسلم، ألا وهي استجابة الدّعاء والنّجاة من البلاء.

ففي الجزء الأوّل من القصّة يحثّ النّبي ﷺ على طاعة الوالدين والإحسان إليهما لما فيه من الخير العظيم، لأنّ الإنسان عند تكوينه لأسرة جديدة (زوجة وأولاد) قد يضيّع عائلته (والديه) وهذا يؤدّي إلى هلاك الأمّة. يقول النّبي صلى الله عليه وسلم: "رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف. قيل: من يا رسول الله؟ قال: من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة"³.

وفي الجزء الثاني ينتقل النّبي ﷺ إلى المجتمع بجميع أطيافه؛ الضّعيف والقوي، الصّالح والفاسد... في محاولة منه "إلى تنظيم الحياة الاجتماعيّة ونسج العلاقات الاجتماعيّة وتحقيق الوضع الاجتماعي المثالي"⁴.

وذلك بدفع المسلم إلى مساعدة المرأة المحتاجة دون مقابل، لأنّ استغلال حاجتها وضعفها ومطالبتها بالثّمن يؤدّي إلى انتشار الرّذيلة والانحلال الخلقي في المجتمع، وامتهان البغي لأجل التّكسّب، هذا من جهة ومن جهة أخرى

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب البيوع، ص 41 (رقم الحديث 2215).

² مأمون فريز جرار، خصائص القصّة الإسلاميّة، ص 146.

³ مسلم، الصحيح، ج2، كتاب البر والصلة والآداب، ص 513 (رقم الحديث 2551).

⁴ معنوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية، ص 133.

يؤدّي إلى انعدام الثقة بين أصحاب المال والنّفوذ والسّلطة وعامّة الشّعب واتّساع الهوة بينهما. فالنّبي ﷺ يحاول المحافظة على المجتمع بكل أطيافه وينذّر عن أفرادّه ابتداءً بأضعف عنصر فيه؛ المرأة التي قد تعوزها الحاجة إلى المال.

وأما الجزء الثالث من القصّة فهو يمسّ الجانب الاقتصادي لأنّه يتحدّث عن الأجير وكيفيّة التّعامل معه، ولهذا سندرجها في القصص ذات البعد الاقتصادي.

3- قصّة «المتكلمين في المهد»

يقول رسول الله ﷺ: "لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له: جريج، كان يصلّي فجاءته أمّه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللهم لا تمته حتى ثريه وجوه المومسات.

وكان جريج في صومعته فتعرّضت له امرأة وكلمته فأبى، فأنت راعيا فأمكنته من نفسها، فولدت غلاما، فقالت: من جريج.

فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبّوه، فتوضّأ وصلّى، ثمّ أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الرّاعي. قالوا: نبني صومعتك من ذهب. قال: لا، إلا من طين.

وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بني إسرائيل، فمرّ بها رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها، وأقبل على الرّاكب فقال: اللهم لا تجعلني مثله. ثمّ أقبل على ثديها يمصّه (قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النّبي ﷺ يمصّ إصبعة). ثمّ مرّ بأمة، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه،

فترك نديها فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لِمَ ذاك؟ فقال: الرَّاكِب جَبَّار من الجابرة، وهذه الأَمَّة يقولون: سرقت، زنييت، ولم تفعل¹.

إنَّ القصص الثلاثة؛ قصَّة عيسى عليه السلام، قصَّة جريج، قصَّة الأم والرَّضيع تتحدَّث عن نفس القضيَّة؛ التكلم في المهد وتبرئة المتَّهمين كرامة من ربِّ العالمين.

أمَّا الأولى فقصَّة عيسى عليه السَّلام وتبرئته لوالدته الطَّاهرة وهو في المهد. وأمَّا الثانية فقصَّة جريج التي تكشف عن شكل من أشكال الظلم الاجتماعي، حيث اتَّهم النَّاس جريج بالزَّنا ثمَّ ضربوه وشتموه وحطَّمو صومعته، "جماهير مندفعة في غير رويَّة، تصبَّ جامٌ غضبها على المتَّهم الذي هو في حسبانهم في تلك اللحظات منافق مخادع يتزيَّا بلباس العابدين الصَّالحين"². لحظة غضب صدَّقت فيها بغي وكُذِّب إنسان صالح ولي، إلا أنَّ هذا الأخير لم يهتز ولم يتزلزل "لثقة العابد في المعبود، صلاةٌ ودعاءٌ رجاء انتصار الفضيلة وصون العرض وإجلال الهدى والصَّلاح"³. فبرَّاه الغلام وأنطق الغلام وهو على كل شيء قدير.

حلَّ جريج المشكل بالدَّعاء والاستعانة بالله تعالى والحوار، لم يفكر في العنف أو الرَّد بالمثل، ولذلك أنطق الله الغلام وبرَّاه من التَّهمة المنسوبة إليه لالتجائه إليه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾⁴.

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 367 (رقم الحديث 3436).

² محمد حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، ص 135.

³ كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 469.

⁴ سورة الحج، الآية 38.

وهنا تظهر الغاية من هذه القصة؛ معالجة المشاكل التي تتخبط فيها المجتمعات، والتي من أصعبها اتهام الإنسان في عرضه، وتبين طريقة حلها باستخدام الحوار والاستعانة بالله تعالى والتضرع إليه، والابتعاد عن التشاجر والصراع الذي يؤدي إلى تشتت المجتمع تفرقه، ثم إلى ضعفه وتقهقره؛ ففوة الدول وتقدمها تبدأ بتماسك مجتمعاتها.

وقصد النبي ﷺ هو توجيه المؤمن إلى عدم التسرع في اتخاذ الأحكام واتهام الناس دون دليل قاطع، والابتعاد عن "الحمق الجماعي الذي تندفع به الجماهير خلف الناقع دون برهان"¹. هذا من جهة، ومن جهة أخرى غرس حب الله تعالى في القلوب وتعلقها به دائما وأبدا حتى في أصعب الأوقات وأحلك اللحظات لأنه القادر على إجلاء الغمة وتفريج الكربة وحل الأزمة.

وأما الثالثة فقصة الرضيع التي تصوّر الجارية المتهمة زورا بالسرقعة والزنا، الضعيفة عن الدفاع عن نفسها وغير القادرة على دفع الناس عنها، المشتكية أمرها إلى الله المطلع على سرّها، المعتصمة به والمحتسبة ما تجد عنده، فبرأها السميع وأنطق الرضيع وهو في حجر أمّه.

هذا الرضيع الذي يترك ثدي أمّه ويلحق دعاءها بدعائه، حيث فضلت الأم القوة والعظمة على الجريمة والعار وتمنّت لابنها "أن يكون في أحسن شارة وأعظم أبهة، وأن يسلم من الأذى ومن الوقوع في الرذيلة"². وهو على النقيض منها؛ إذ تمنّى أن يكون مثل الجارية الزانية وأن لا يكون مثل الرجل العظيم، لأنّ صاحب الشارة يبدو في مظهر الخير، وعلى العكس منه تبدو الجارية في

¹ كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 469.

² المرجع نفسه، ص 471.

مظهر الشر ولكن في الحقيقة كل منهما "تقيض ما يظهر للناس، وهو كشف غيبي يجريه الله القدير الفعّال لما يريد على لسان هذا الرضيع"¹.

فالطّفّل نظر ببصيرته ونطق بحكمته التي وهبها له تعالى، فالرجل جبار من الجبابرة والجارية متهمة زورا بالسّرقَة والزّنا لذلك "طلب النّزاهة من صفات الجبارين، والتّشبيه بالبرءاء الصّالحين"²، أمّا الأم أخذتها "عاطفة الأمومة ورجاء الأمل السّعيد للولد، والاعتزاز بالظّواهر دون تأمّل للحقائق، التّهوّر في المؤاخذه دون الثّبوت بدليل"³.

ويبرز قصدان من هذه القصّة؛ الأوّل يتجلّى في دفع المؤمن إلى التعلّق بالله تعالى والاعتصام به حتى يدافع عنه، لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾⁴. والثاني: ممارسة السّلك الصّحيح عند التعرّض لمثل هذه المواقف، والذي يتمثّل في عدم الاعتزاز بالظاهر والتّروّي والتّريّث في الحكم، والنّظر في الشّاهد، لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ تَادِيبَ رَبِّ ۚ﴾⁵.

¹ محمد حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، ص 143.

² كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 470.

³ المرجع نفسه، ص 470.

⁴ سورة الحج، الآية 31.

⁵ سورة الحجرات، الآية 06.

الفصل الخامس

القصص ذات البعد الاقتصادي

أولاً: قصة جرّة الذهب

ثانياً: قصة المقرض ألف دينار

ثالثاً: قصة الأجير

رابعاً: قصة صوت سحابة

خامساً: قصة المتصدق

سادساً: قصة خلق الأرض

تمهيد:

إنَّ الغاية من القصص ذات البعد الاقتصادي بناء نظام اقتصادي إسلامي يحقق العدالة، ويساهم في الرقي والازدهار. نظام ضمَّنه تعالى كتابه العزيز وتكفل بشرحه وتوضيحه نبيُّه الكريم الذي لا ينطق عن الهوى لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾¹، لأجل ضمان حياة سعيدة لكل النَّاس.

فالنَّبِيُّ ﷺ يسعى إلى سمو المسلم نحو الكمال الخُلقي الذي ارتضته الشريعة له، لأنَّه هو الذي "يجعل الأفراد ينسحبون من الحياة بتفاصيلها الماديَّة الصَّرفة المفضية إلى الفراغ الرُّوحي والصَّراع والانكفاء على المكاسب الماديَّة والسَّعي وراء تحقيق الرِّغبات والانقياد وراء الشَّهوات والنَّزوات... وفي المقابل يدعو إلى الانخراط في الحياة بمعانيها الاجتماعيَّة السَّامية القائمة على احترام القيم والنَّمائل الفردي والجماعي مع النِّقافة الاجتماعيَّة المهيمنة، كل هذا يجعل البناء الاجتماعي يستمرُّ في حالة من التَّوازن والاستقرار بعيدا عن المحدِّدات السلوكيَّة السَّليبيَّة الأخرى"².

¹ سورة النجم، الآية 03.

² معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية، ص 151، 152.

1- قصة «جرّة الذهب»

يقول رسول الله ﷺ: "اشترى رجل من رجل عقارا له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرّة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار: خذ ذهبك منّي، إنّما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب! وقال الذي له الأرض: إنّما ابتعتك الأرض وما فيها. فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام. وقال الآخر: لي جارية. قال: انكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدّقا"¹.

يعرض رسول الله ﷺ في هذه القصّة نموذجين واقعيين؛ بائع ومشتري انعكست تربيتهما الخُلقيّة على حياتهما اليوميّة، فهما من "الصنف الورع الأمين، المتحوّط لدينه، الخائف من الوقوع في الشبهة برغم بريق الذهب الزاهي أمامهما"².

فكل منهما لا يريد الذهب، وهذا أمر عجيب "قالمعهود بين النّاس أن يختصم مثل هذين للحصول على الذهب، فيطالب كل واحد منهما به ليحوزه دون الآخر مدّعا أن صاحبه؛ هذا لأنّه اشترى الأرض بما فيها، والآخر لأنّه باعه الأرض ولم يبتعه الذهب"³.

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب أحاديث الأنبياء، ص 375 (رقم الحديث 3472).

² محمد حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، ص 177.

³ الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 268.

وذلك لما جبلت عليه النفس البشرية من حب المال، لقوله تعالى: ﴿رُزِقَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ١٥﴾¹.

ولكن اتصافهما بالأمانة والورع، والدقة في تحري الحلال وتجنب الحرام، والقناعة والرضى والابتعاد عن الحرص والطمع، يعكس البناء الروحي للرجلين ويؤثّرهما أعلى المراتب في السلم الإيماني، وقد تجسّد حقيقة فعلية في الحياة الاجتماعية بعيدا كل البعد "عن ارتدادات المشاكل المطروحة على مدار الحياة اليومية للفرد والتي تجعل البعض يبرّر الانحراف ويعطيه مسوّغات وهمية تحت شعارات الظروف المادية الاجتماعية القاهرة"².

غاية يسعى إليها رسول الله ﷺ، ألا وهي دفع المسلم إلى الاقتداء بهذين الرجلين، لأنّ هذا هو السلوك الصحيح الواجب ممارسته، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه المسلم؛ علم هداية لكل الإنسانية.

فالنبي ﷺ من خلال هذين النموذجين يرمي إلى تأسيس واقع جديد ومجتمع إسلامي يختلف عن غيره، ينشد الفضيلة في كل أعماله اليومية، واقع يقوم على "كائن نموذج يصلح على صعيد السلوك لا لتأسيس قاعدة عامّة أو دعمها فحسب، وإنّما يصلح كذلك للحضّ على عمل ما اقتداء به، ومحاكاة له، ونسجا على منواله"³.

¹ سورة آل عمران، الآية 14.

² معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية، ص 148.

³ عبد الله الصولة، الحجاج أطره ومنطلقاته، ص 338.

2- قصة «المقترض ألف دينار»

يقول رسول الله ﷺ: "سأل رجل من بني إسرائيل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال: ائنتني بالشهداء أشهدهم. قال: كفى بالله شهيدا. قال: فائتني بالكفيل. قال: كفى بالله كفيلا. قال: صدقت. فدفعها إليه إلى أجل مسمّى. فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يقدم عليه في الأجل الذي أجله فلم يجد.

فاتخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر. ثم قال: اللهم إنك تعلم إني تسلفت من فلان ألف دينار فسألني شهيدا فقلت: كفى بالله شهيدا، فرضي بك شهيدا، وسألني كفيلا فقلت: كفى بالله كفيلا، فرضي بك كفيلا، وأني جهدت أن أجد مركبا فلم أجد واني استودعتكها. فرمي بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة.

ثم قدم الذي كان أسلفه فأتى بألف دينار، وقال: هل كنت بعثت إليّ بشيء؟ قال: أخبرك أنني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه. قال: فإن الله تعالى قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدا¹.

تعرض هذه القصة نموذجين واقعيين عمليّين آخرين من الحياة يرسمان خطّ سير المسلمين في موقف حياتي مُتَجَدِّدٍ تَجَدَّدَ النَّاسُ وحاجاتهم في كل عصر

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب الكفالة، ص 62 (رقم الحديث 2291).

ومصر، حيث تكشف القصة عن حقيقة المقرض الذي "يمثل المؤمن المضطر للاستعانة مع التستر حفظاً للكرامة، والمقرض الذي يمثل المؤمن المحتاط الذي يحبّ المواساة مع حفظ الحق حذراً من اللي والنكول"¹.

نموذجان اتصفا بالأمانة والتوكل على الضامن الذي لا ريب في وفائه، فكان "قرض بلا عقد، بلا شهيد ولا كفيل حسّي مشاهد"². ومع ذلك فالمقرض احترم موعد تسديد الدين فلم يتكاسل ولم يتثاقل بحجة عدم وجود السفينة، بل بقي يفكر في سبيل لإيصال المبلغ إلى صاحبه، فألهمه الشاهد وضع المال في الخشبة وإرسالها عبر البحر وهو الكفيل بها. فأوصلها إلى صاحبها الذي ألهمه نشر الخشبة بدل حرقها مباشرة ليجد ماله، وليتأكد أنّ صاحبه ما خانته ولا خدعه، وأنّ الشاهد والكفيل ما نسيه ولا ضيّعه.

وقمة الأمانة والوفاء نجد المقرض يأخذ المبلغ ويذهب به إلى صاحبه، لأنّه لا يعلم إن كان المال وصل إليه أم لا، فيجد أمانة تضاهي أمانته لأنّ المقرض لم يستغل الفرصة لكسب زائد، بل صرّح وفاء: "إنّ الله تعالى قد أدّى عنك الذي بعثت في الخشبة".

هدف جليل ترمي إليه القصة يظهر في تكفل المولى عزّ وجلّ بمن توكل عليه "ونظره جلّ جلاله إلى من رضيّه، عبدي كفيتك وأيدتك وحفظت ما استرعتيني!"³ حفظاً للدائن والمدين مالهما؛ فأما الأول فأدى عنه أمانته، وأما الثاني أرجع له ماله.

¹ كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 480.

² المرجع نفسه، ص 480.

³ المرجع نفسه، ص 481.

والقصد الخفي وراء هذه القصة هو دفع المسلم إلى تبني هذا السلوك، وذلك بتحويل القيم الروحية التي يؤمن بها إلى أفعال في الواقع، فالرضا بالله والثقة في كفايته أخلاق لا معنى لها "إذا لم تتحول إلى سلوك تفاعلي يومي يبرز مميّزاته وقوّته في التعامل مع النَّاس والتأثير الإيجابي في الوسط الاجتماعي الذي يوجد فيه"¹.

فانصاف المسلم بالأمانة والوفاء في حالة إقراضه المال أو اقتراضه له ينشر ثقافة القرض بين النَّاس؛ فيستعين المسلم بأخيه لقضاء حوائجه فيستدين المال، ويساعده أخوه على حل مشاكله الماديّة فيدينه المال ثقة في وفائه وأمانته. وهذا ما يحقّق التعاون والتضامن في المجتمع ويحل الكثير من المشاكل الماليّة التي تتخبّط فيها الأسر.

وهذه مرحلة متقدّمة من مراحل ترقية النَّفس الإنسانيّة، وذلك من خلال تدريبها على صيغ وآليات عمليّة تطبيقيّة في الواقع الاجتماعي حتى تتمكّن من تنمية كل الجوانب لأنّه "من المستحيل عقلا وفعلا تصوّر الاعتماد على تنمية ركن دون آخر، أو تنشئة جانب وإهمال آخر، بل لابدّ من عمليّة تنمية كلّية شاملة"².

¹ معتوق جمال وأوسرير مجد، الصحة الإيمانية، ص 135.

² علي سعيد إسماعيل، أصول التربية الإسلامية، دار الميسرة للنشر، عمان، دت، ص 68.

3- قصة «الأجير» المدرجة ضمن قصة «أصحاب الغار»

يقول رسول الله ﷺ: "...وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنني استأجرت أجيرا بفرق من ذرة فأعطيته وأبى ذاك أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته حتى اشتريت منه بقرا وراعيها، ثم جاء وقال: يا عبد الله أعطني حقِّي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك، فقال: أستهزئ بي؟ فقلت: ما أستهزئ ولكنّها لك، اللهم إن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا، فكشف عنهم"¹.

غاية محبّة إلى القلب سقتها هذه القصة؛ استجابة الدّعاء وتفريج البلاء في ساعة الشّدّة والمحنة. وهي غاية مغرية يطمح إليها كل مسلم، فمن ممّا لا يريد استجابة الدّعاء؟ ومن ممّا لا يريد تفريج الكربة والبلاء؟

ولهذا يتّضح قصد النّبي ﷺ وحرصه الشّديد على إعطاء الأجير حقّه، وعدم أخذه عن غير وجه حقّ حتى وإن امتنع عن أخذه فقد يكون ذلك لظروف طارئة ألّمت به، تنمية مال الأجير إن أمكن ذلك.

فالأجير ما هو إلا فرد من المجتمع، وهو يعمل لأجل الحصول على المال لتسيير شؤون حياته، فإذا غُصِبَ حقّه فإنّه لا محالة سيقع في الانحراف؛ السرقة والنّهب أو حتّى قتل صاحب المال ... ولهذا يقول ﷺ: "قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة؛ رجل أعطى بي ثمّ غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره"².

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب البيوع، ص 41 (رقم الحديث 2215).

² المصدر نفسه، ج2، كتاب الإجارة، ص 55، 56 (رقم الحديث 2270).

إنَّ القصص الثلاثة السابقة تتناول المعاملات الماليّة بين الأفراد، وكيف يجب أن تكون في مجتمع إسلامي مثالي يجسّد القيم الرّوحيّة حقيقة فعلية في الواقع، أمّا القصص اللاحقة فتبيّن دور المسلم الإيجابي والفعل في تنمية وازدهار ماله ومشروعه أولاً، وإيجاد حلول للمشاكل الاجتماعيّة المبنية على المال ثانياً.

4- قصّة «صوت سحابة»

يقول رسول الله ﷺ: "بينما رجل بفلاة من الأرض إذ سمع صوتاً في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب، فأفرغ ماءه في حرة، فانتهى إلى الحرة فإذا هو في أذنان شراج، وإذا شجرة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتبع الماء، فإذا برجل في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: يا عبد الله ما اسمك؟ قال: فلان، بالاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبد الله لم تسألني عن اسمي؟ قال: سمعت صوتاً في السحاب الذي هذا هو مأواه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أمّا إذا قلت هذا؛ فإنّي أنظر إلى ما خرج منها فأصدّق بثلثه، وأكل أنا وعيالي ثلثه، وأردّ فيها ثلثه"¹.

تكشف هذه القصّة عن السر الذي بفضله استحقّ هذا الرّجل هذه المنحة الإلهيّة والبركة الرّبانيّة والعطاء المنقطع النّظير؛ إذ أرسلت إليه سحابة محمّلة بالغيث النّافع لتسقي حديقته هو وحده دون غيره من النّاس.

¹ مسلم، الصحيح، ج1، كتاب الزهد والرقائق، ص 452 (رقم الحديث 2974).

فما هو هذا السر يا ترى؟ ولماذا هو بالذات دون غيره؟ ماذا فعل؟ وكيف لنا أن نحصل على هذه المنح؟

إنها الصدقة التي تعود على صاحبها بالمنح الإلهية التي تفوق الوصف والخيال؛ خرق للعادة وتغيير لنواميس الكون التي بيده تعالى من أجل عبده كما حدث مع صاحب الحديقة، وهذا كله يدفع المسلم إلى التصدق والإسراع في ذلك من أجل نيل المزايا من صاحب العطايا.

يبين النبي ﷺ بأن صاحب الحديقة "رجل صالح، مجاهد على نفسه وعلى عياله، متصدق على الضعفاء والمساكين، فهو ينظر إلى ما يخرج منها فيتصدق بثلثه، ويأكل هو وعياله ثلثه، ويردّ فيها الثلث الباقي"¹. فالسبب إذاً هو الصدقة؛ وليست صدقة يسيرة وحسب، ولكن التصدق بثلث المال.

وعليه فهذه القصة تكشف عن خطة ناجعة لاستثمار المال وزيادته وتنميته، وذلك بتقسيمه إلى ثلاث: فثلث للإنفاق على الأهل والولد، وثلث لتوسيع المشروع الاقتصادي، وثلث للتصدق على الفقراء والمحتاجين.

وهذه الخطة الاقتصادية تضمن نجاح المستثمر وزيادة ماله، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾². ولقوله ﷺ: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا. ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا"³.

¹ محمد حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، ص 142.

² سورة سبأ، الآية 39.

³ البخاري، الصحيح، ج 1، كتاب الزكاة، ص 339 (رقم الحديث 1442).

هذا من جهة، ومن جهة أخرى تطهّر المال من الحرام، لقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾¹. كما أنّها تساهم في تطوير وازدهار المشروع ما يؤدّي إلى توفير مناصب عمل بسبب الاحتياج إلى اليد العاملة، إضافة إلى ذلك إعالة المحتاجين والقضاء على مظاهر الفقر من تسوّل وغيرها.

وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه الخطط التي تساعد أرباب الأعمال على النّجاح في الميدان، وتساهم في تطوير المجتمع وتحسين اقتصاد الدّولة.

5- قصة «المتصدّق»

يقول رسول الله ﷺ: "قال رجل لأتصدّق بصدقة فخرج بصدقة فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون تُصدّق على سارق! فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدّق بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون تُصدّق الليلة على زانية. فقال: اللهم لك الحمد على زانية! لأتصدّق بصدقة، فخرج بصدقته فوضعها في يد غنيّ، فأصبحوا يتحدثون تُصدّق على غنيّ. فقال: اللهم لك الحمد على سارق وعلى زانية وعلى غنيّ. فأنتي فقيل له: أمّا صدقتك على السّارق فلعله أن يستعف عن سرّفته، وأمّا الزّانية فلعلها أن تستعف عن زناها، وأمّا الغنيّ فلعله يعتبر فينفق ممّا أعطاه الله"².

إنّ هذه القصّة تظهر الأسرار الخفيّة للصدقة؛ والتي تكمن في القضاء على الآفات الاجتماعيّة كالسرقة والزّنا، لأنّ الدافع إليهما هو طلب المال، والآفات النفسيّة أيضا كالبلخ والشح التي باعثها الحرص على المال.

¹ سورة التوبة، الآية 103.

² البخاري، الصحيح، ج1، كتاب الزكاة، ص 335 (رقم الحديث 1421).

فالنبي ﷺ يبيّن قبول الله سبحانه وتعالى لصدقة هذا الرجل الذي ظنّ أنّها غير مقبولة، لأنّه وضعها في غير موضعها، وهذا حتى يوضّح تعدّد وجوه الصدقة التي تتجاوز الفقير والمحتاج والمسكين إلى السارق والزانية والغني، وكل ذلك من أجل تحقيق هدف أسمى يظهر في تعفّف الأول والثانية، وإنفاق الثالث.

والقصد الخفي وراء هذه القصة هو حرص النبي ﷺ الشّديد على استنهاض المؤمن ودفعه إلى فعل الصدقة وخاصة على هؤلاء، لأنّها تشكّل حصانة قيمية وسلوكية ضدّ الانحراف "تتمظهر في ممارسات اجتماعية تجعل من أصحابها نماذج يحتذى بها في السلوك السوي، لأنّها تعطي انطبعا جيّدا عن ما يجب أن يكون عليه الفرد وهو يتفاعل مع جميع عناصر البنية المجتمعية التي يوجد بها"¹.

فالصدقة على هؤلاء الثلاثة (الزانية والسارق والغني) لا تتوقّف عند حدّ المساعدة المالية، بل تتعدّى ذلك إلى تغيير حالتهم الاجتماعية ومعالجة الآفات التي يعانون منها، ومن ثمّة تخليص المجتمع من الفئات الفاسدة وترقيته نحو الأفضل دائما.

وعليه فلا نحتاج إلى سجون لإعادة تربية السارقين والزناة، ولكن نحتاج إلى نظام اقتصادي إسلامي يعفّ الناس عن كل ذلك، ويريح الدولة من أعباء كثيرة تتقلّ كاهلها.

¹ معتوق جمال، أوسرير محمد، الصحة الإيمانية، ص 133.

6- قصّة «خلق الأرض»

يقول رسول الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدٌ وَتَتَكْفَأُ، فَأَرْسَاهَا الْجِبَالُ فَاسْتَقَرَّتْ، فَتَعَجَّبَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ شِدَّةِ الْجِبَالِ فَقَالَتْ: يَا رَبَّنَا هَلْ خَلَقْتَ أَشَدَّ مِنَ الْجِبَالِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الْحَدِيدُ. قَالُوا: فَهَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا أَشَدَّ مِنَ الْحَدِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، النَّارُ. قَالُوا: فَهَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا أَشَدَّ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الْمَاءُ. قَالُوا: هَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا أَشَدَّ مِنَ الْمَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الرِّيحُ. قَالُوا: هَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا أَشَدَّ مِنَ الرِّيحِ؟ قَالَ: نَعَمْ، ابْنُ آدَمَ إِذَا تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ بِيَمِينِهِ فَأَخْفَاهَا عَنْ شِمَالِهِ»¹.

الغاية من هذه القصّة هو الكشف عن عظمة صدقة السرّ، هذه الصّدقة التي تجعل صاحبها أقوى من جميع قوى الطّبيعة، وقادر على أن يقهرها جميعاً ويسخّرها لخدمته، لأنّه قهر الشّيطان وقهر نفسه المجبولة على الشّح². يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْكَلْ شُحُّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾³.

وقصد النّبي ﷺ من هذه القصّة هو توصيل المؤمن إلى القمّة التي تتألّق فوقها العظمة لصدقة السرّ، ودفعه إلى ممارستها في حياته اليوميّة والإسراع في ذلك حتى يكون أعظم خلق الله وأشدّهم قوّة.

¹ أحمد بن حنبل، المسند، ج3، ص 124.

² ينظر: كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 255.

³ سورة الحشر، الآية 09.

الفصل السادس

القصص ذات البعد السياسي

أولاً: قصة أصحاب الأخدود

ثانياً: قصة سارة والملك

ثالثاً: قصة النبي الذي حبست له الشمس

رابعاً: قصة سفينة الحياة

تمهيد:

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ من خلال قصصه يسعى إلى التَّغيير عبر عمليَّتي: الهدم والبناء، التَّفريغ والملاء، التَّخْلِي والتَّحْلِي؛ التَّخْلِي عن الرَّذائل والتَّحْلِي بالفضائل فكل خصلة محمودة لها بالمقابل خصلة مذمومة يجب أن تُجتثَّ وتحل محلَّها الأخرى.

ومن ثَمَّة نحقّق التَّغيير الذي يشمل جميع مجالات الحياة لأنَّ الإسلام منهج متكامل الجوانب، شامل النُّظرة، فيه تنظيم علاقة الفرد برَبِّه وبنفسه وبمجتمعه وبحاكمه.

1- قصة «الغلام» أو «أصحاب الأخدود»

يقول رسول الله ﷺ: 'كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعَلِّمَهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَى ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ.'

فبينما هو كذلك إذ أتى على دابَّة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم: الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً، فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر، فاقْتُلْ هذه الدابَّة؛ حتى يمضي الناس فرماها فقتله ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره. فقال له الراهب: أي بني! أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي.

وكان الغلام يبئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله. فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله.

فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك ربّ غيري؟ قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الغلام، فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟ فقال: إني لا أشفي أحدا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذّبه حتى دلّ على الزاهب فجيء بالزاهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه.

ثم جيء بالغلام، فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسّطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاخذفوه. فذهبوا به، فقال: اللهم! اكفنيهم بما شئت. فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله.

فقال للملك: إنَّكَ لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: وما هو؟ قال: تجمع النَّاس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السَّهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله ربِّ الغلام، ثم ارمني. فإنَّكَ إذا فعلت ذلك قتلتنني. فجمع النَّاس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السَّهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله، ربِّ الغلام، ثم رماه فوق السَّهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السَّهم فمات.

فقال النَّاس: آمنا بربِّ الغلام، آمنا بربِّ الغلام، فأتني الملك فقيل له: رأيت ما كنت تحذر؟ قد والله! نزل بك حذر. قد آمن النَّاس، فأمر بالأخدود في أفواه السَّكِّ فَخُذَّتْ وَأُضْرِمَ النَّيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها. أو قيل له: اقتحم. ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمَّه! اصبري، فإنَّكَ على الحق¹.

في هذه القصَّة يكشف رسول الله ﷺ ظلم الحاكم وادِّعائه الرِّبوبيَّة وإجبار شعبه على عبادته من جهة، ومن جهة أخرى يقدِّم خطة رائعة للتَّغيير أدَّت إلى إيمان النَّاس بالله تعالى، خطة نفَّذها غلام تميَّز بالقيادة والقدرة على معالجة المشاكل بشكل سلمي؛ فهو لم يكن نبي ولا مرسل، بل غلامًا عاديًا ولكنه استقى الإيمان من منبع صاف، فتغلغل في قلبه ومن ثَمَّة دفعه إلى العمل بصدق وإخلاص لله تعالى.

¹ مسلم، الصحيح، ج2، كتاب الزهد والرقائق، ص 711 (رقم الحديث 3005).

تَحَمَّلَ الغلام المسؤولية وبادر إلى العمل دون طلب منه، وذلك حين قتل الدَّابَّةَ، وحين انبرى لمساعدة المرضى والمحتاجين بالدَّعاء والتَّضرُّع إلى الله ليعلمهم بطريق غير مباشر بأنَّ له إلها غير الملك.

غلام كان فعَّالا وإيجابيًا يقدِّم خدماته لكل النَّاس دون تمييز بينهم، فعالج حتى جليس الملك، ولمَّا اكتشف أمره وحدث الصِّراع بينه وبين الملك لم يدخل النَّاس كطرف ثالث للدِّفاع عنه، بل واجهه لوحده، حتى تغلب عليه أمام أعين النَّاس.

فالغلام رغم صغر سنِّه إلا أنَّه استطاع تحويل النَّاس عن عبادة الملك الطاغية إلى عبادة الواحد الأحد، وتغيير الأديان من أصعب الأمور والدَّلِيل على ذلك ما حدث للأنبياء مع أقوامهم.

فالقصة إذا تستعرض الطرق السِّلْمِيَّة للتغيير؛ سواء أكان ذلك في الدِّين والمعتقد أم في الحكم والسُّلطة. فليس بالضرورة قتل الأبرياء من أجل منازعة سلطان ظالم في حكمه، وتغييره بالعنف كما نشهد اليوم مع أيَّام الرِّبيع العربي. والقصد الخفي من هذه القصَّة هو الكشف عن الطريق الصَّحيح للتَّغيير الإيجابي النَّافع، وذلك وفق الخطوات الآتية:

أولاً: إخلاص النِّيَّة لله عز وجل والعمل لأجله، لا لحظ زائد.

ثانياً: القيام في وجه الحاكم أو الثَّورة ضدَّه يجب أن يمَسَّ الدِّين والمعتقد، ولا تكون الفتنة لأجل غرض دنيوي من مال أو جاه أو سلطة، فالغلام ثار ضدَّ الكفر وليس ضدَّ الظلم والقهر، وشَتَّان بين الأمرين لمن كان له نظر أو عقل سديد.

ثالثاً: تحمل المسؤولية تجاه المجتمع والمبادرة بالعمل دون مقابل، ومساعدة كل الناس دون تمييز والإحسان إليهم.

رابعاً: مواجهة الظلم وجهاً لوجه منفرداً وعدم إدخال الناس في صراع لا طاقة لهم على تحمّله، ومحاورة الظالم بالتي هي أحسن حتى يتم التغيير دون نزول قطرة دم واحدة.

خامساً: التضحية بالنفس لأجل الله تعالى إن لم يُجدِ الحوار نفعا كما فعل الغلام الذي ضحّى بنفسه لأجل إعلاء كلمة لا إله إلا الله، فَقَتِلَ نفس واحدة صادقة في مسعاها خير من قتل الناس جميعاً دون جدوى، "لأنّ الدّنيا عرض زائل، والحياة الحقّة هي حياة الخالدين... والصّبر في طريق الحقّ وإن يكن الابتلاء احتراق الأجسام في جحيم الظّالمين"¹.

¹ كمال عز الدين، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص 466.

2- قصّة « سارة والملك الجبّار »

يقول رسول الله ﷺ: "هاجَرَ إبراهيم عليه السّلام بسارة فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك أو جبّار من الجبابرة، فقيل: دخل إبراهيم بامرأة هي من أحسن النساء فأرسل إليه أن يا إبراهيم من هذه التي معك؟ قال: أختي ثمّ رجع إليها فقال: لا تكذّبي حديثي فإنّي أخبرتهم أنّك أختي، والله إنّ على الأرض مؤمن غيري وغيرك.

فأرسل بها إليه فقام إليها، فقامت تَوْضاً وتصلّي فقالت: اللهم إن كنتُ آمنْتُ بك وبرسولك وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي فلا تسلّط عليّ الكافر، فغطّ حتى ركض برجله*. قال الأعرج: قال أبو سلمة ابن عبد الرحمن: إنّ أبا هريرة قال: قالت: اللهم إن يمت يقال هي قتلتها فأرسل.

ثمّ قام فقامت تَوْضاً وتصلّي وتقول: اللهم إن كنتُ آمنْتُ بك وبرسولك وأحصنتُ فرجي إلا على زوجي فلا تسلّط عليّ الكافر، فغطّ حتى ركض برجله. قال عبد الرحمن: قال أبو سلمة: قال أبو هريرة: قالت: اللهم إن يمت يقال هي قتلتها فأرسل في الثانية أو في الثالثة.

فقال: والله ما أرسلتم إليّ إلا شيطاناً ارجعوها إلى إبراهيم وأعطوها أجر** فرجعت إلى إبراهيم عليه السّلام فقال: أشعرت أنّ الله كبت الكافر وأخذم وليدة¹.

* غط حتى ركض برجله: أي خنق خنقاً، لشدته كان يضرب برجله الأرض. (ينظر: الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص56).

** أجر: الاسم السرياني لهاجر. ينظر: الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص56.

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب البيوع، ص42 (رقم الحديث 2217).

تكشف هذه القصة عن كيفية الخلاص من ملك ظالم والنجاة من شره؛ فقد نجا إبراهيم عليه السلام بدعوى أن سارة أخته لأن هذا الجبار "إن أراد امرأة بطش بزوجها إن كانت متزوجة، ولا يتعرض لأقاربها بسوء إن كانت عزباء... وقد أرسل إبراهيم بزوجه إلى ذلك الطاغية كما طلب منه ثقة منه برعاية الله وحفظه، بعد أن أوصاها أن لا تخبر الملك بصلتها الحقيقية به، وقد بين لها إبراهيم وجهة نظره في ذلك، فهي أخته في الإسلام إذ لم يكن على وجه الأرض مؤمن غيرهما"¹.

وأما سارة فعلمت أنه لن ينجيها إلا الله سبحانه وتعالى، فدعت ربها وناشدته أن يرد عنها كيد الملك وشره، فما كاد يقوم إليها حتى أخذ أخذًا شديدًا إلى درجة خوفها على نفسها إن هو مات أن يتهموها بقتله (اللهم إن يميت يقال هي قتلتها) فتدعو له ربها بعد أن يعدها بعدم التعرض لها². ولكنه يكرر الفعل مرة ثانية وثالثة فتكرر الدعاء أيضا فتحصل نفس النتيجة في كل مرة، فهو وإن لم يقتنع بتركها للوهلة الأولى التي شد فيها، إلا أن تكرار النتيجة كان دليلا قاطعا جعل الملك يقتنع بأنها شيطان قادرة على القيام بأعمال وإبطالها في نفس الوقت ما جعله يخاف منها ويتركها. ورجعت سارة إلى إبراهيم عليه السلام سليمة معافاة لم يمسه مكروه .

وقصد رسول الله ﷺ من هذه القصة دفع المسلم إلى مهادنة الملوك وأصحاب السلطة وخاصة الظالمين منهم والجبابرة الذين لا طاقة للعباد عليهم، وحثهم على الاستعانة بالله تعالى بالدعاء وبالضرع والابتغال لدحر كيدهم

¹ الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 56، 57.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 57.

والنَّجاة من شرِّهم كما فعل إبراهيم عليه السلام وزوجته. وأمَّا "الذين يأبون الانحناء للعاصفة فلا يفقهون دين الله، لأنَّ الإنسان لا يستطيع دائما أن يمضي في طريقه على الوجه الأكمل، فالرسول ﷺ وأصحابه من بعده والسَّائرون على دربهم كانوا يهادنون في الحرب ويصالحون، ويرضون أحيانا باتِّفاقات فيها ظلم واضح، وما لا طاقة للعباد به إلا اللّجوء فيه إلى الله"¹.

3- قصّة «النبي الذي حبست له الشَّمس»

يقول رسول الله ﷺ: "غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتَّبِعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن بها، ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها، ولا أحد اشترى غنما أو خِلَفات وهو ينتظر ولادها.

فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك، فقال للشَّمس: إنَّك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه، فجمع الغنائم فجاءت يعني النَّار لتأكلها فلم تطعمها.

فقال: إنَّ فيكم غلولا فليباعني من كل قبيلة رجل، فلزقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول، فليباعني قبيلتك فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الدَّهَب فوضعوها فجاءت النَّار فأكلتها، ثمَّ أحلَّ الله لنا الغنائم رأى ضعفنا وعجزنا فأحلَّها لنا"².

يكشف النَّبي ﷺ في هذه القصّة عن سبل النَّصر المبين في الحروب، فهذا النَّبي حتى يحقِّق النَّصر حدَّد طبيعة المقاتلين الذين سيقاتلون معه، وذلك برفضه وعدم قبوله لثلاثة أصناف؛ أمَّا الصَّنَف الأوَّل: فرجل عقد نكاحه على

¹ المرجع السابق، ص 62.

² البخاري، الصحيح، ج2، كتاب فرض الخمس، ص 283 (رقم الحديث 3124).

امرأة ولم يدخل بها بعد، فقلبه معلق بها. وأما الثاني: فرجل مشغول ببناء لم يكمله بعد. وأما الثالث: فرجل اشترى غنما أو نوقا وهو ينتظر ولادتها.

فهذه الأصناف الثلاثة قد تكون سببا في هزيمة هذا النبي، وذلك لتعلقهم بالدنيا وحبهم لشهواتها من نساء وأموال وبنين وغير ذلك، لقوله تعالى: ﴿رَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ رَحُسُ الْمُنَافِ﴾¹.

لم يهتم هذا النبي "بكثرة العدد عند مواجهة أعدائه، وإنما اهتم بالتنوع في المقاتلة، ولذا أخرج من صفوف جنده أولئك الذين تعلقوا قلوبهم بأمر من الأمور الدنيوية التي تملك على العباد نفوسهم"².

ورسول الله ﷺ من خلال هذه القصة يكشف عن خطة ناجعة ونظريّة قاطعة للنصر سواء أكان ذلك في المعارك القتالية الحربية أم المعارك الحياتية التي تحتاج إلى قيادة حكيمة وشخصية فذة، فالجيوش لا تنتصر والمؤسسات لا تنجح بكثرة العدد بل بنوعية الأشخاص، فالكيف أهم من العدد. وهو بذلك يدفع المسلم إلى تبني السلوك الصحيح لتحقيق ذلك؛ معرفة الطبائع البشرية، اختيار الأصناف المخلصة لله تعالى والتي يمكنها الصبر في ميدان القتال أو العمل، استبعاد النوعيات التي قد تؤدي إلى الهزيمة والفشل والتراجع.³

فدائما نجد أن الباطن هو المحرك الوحيد للظاهر، فالصدق والإخلاص لله تعالى في العمل منبع كل عطاء ومصدر كل نوال، فإيمان هذا النبي وبقينه في

¹ سورة آل عمران، الآية 14.

² الأشقر، صحيح القصص النبوي، ص 113.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 120.

قدرة الله تعالى جعلته يخاطب الشمس ويدعو المولى عز وجل أن يحبسها ويؤخر الغروب، لأن القتال في الليل أصعب، فاستجاب الله دعاءه وغير لأجله نواميس الكون فأبطأ دورة الأرض حول نفسها حتى يتم الفتح. وهكذا حال كل صادق ومخلص يبتغي وجه الله تعالى ولا هم له في الدنيا سواه.

4- قصة «سفينة الحياة»

يقول رسول الله ﷺ: "مثل القائم على حدود الله والمدفن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيصبون على الذين في أعلاها فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذونا، فقال الذين في أسفلها: فإننا نقبها من أسفلها فنستقي، فإن أخذوا على أيديهم فمنعواهم نجوا جميعا، وإن تركوهم غرقوا جميعا"¹.

في هذه القصة نجد أن سفينة الحياة أو بالأحرى الدولة يتقاسم أعبائها مهما تغير الزمان وتبدل المكان نوعين من البشر؛ المصلح والمفسد وهذه سنة الله في خلقه "فأهل السفينة هم المجتمعات البشرية التي تعمر سفينة الحياة وانقسام أهل السفينة بالاقتراع إلى قسمين هو جريان الأقدار بوضع كل إنسان في المكان الملائم في الدنيا. والذين في أعلى السفينة هم القائمون بأمر الله حيث الهواء والنور، والقدرة على إدراك ما يحيط بهم، وفي أسفل السفينة الواقعون في حدود الله حيث ظلام الجهل، وانطماس الفطرة"².

¹ البخاري، الصحيح، ج2، كتاب الشركة، ص 116 (رقم الحديث 2493).

² فائزة سالم صالح يحي أحمد، التشبيه التمثيلي في الصحيحين، رسالة ماجستير، إشراف: محمد أبو موسى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1985/1986، ص 337.

فإنَّه سبحانه وتعالى "قد خلق النَّاس طبقات، وهذا التَّقسيم لا يقوم على أساس الغنى والوجاهة والسيادة، إمَّا على أساس من الإيمان والتَّقوى، فأهل الإيمان هم في العلو والرَّفعة وهم القوَّة الحقيقيَّة"¹ الذين يجب عليهم تحمُّل المسؤولية والمحافظة على الدَّولة والمجتمع، وذلك من خلال اليقظة والتَّنبيه لكل صغيرة وكبيرة حتى لا يحدث أيَّ إخلال بأمن الوطن والأُمَّة، ولا تنقب السفينة فتغرق ويهلك من فيها.

فالخطر محقق من كل اتِّجاه، "يحتاج من المؤمن إلى مزيد من التَّنبيه، وإلى مزيد من التَّكافل والتَّضامن في درء الخطر الذي يصيب المجموع، وإنَّ قلَّ هذا الخطر لأنَّ المجتمع قد يغرق كله بسبب تصرُّف طائش من أحرق واحد، وعلى المجتمع إذن أن يكون متنبِّها حذرا آخذا على أيدي المفسدين، وكل شيء في حياة الجماعة يهم كل فرد فيها لأنَّه متَّصل بحياته وإن كان اتِّصالا غير مباشر، المسؤولية واحدة على أفراد المجتمع، والفساد في أيِّ قطاع وفي أيِّ ميدان ممَّا يجب أن يقف الكل في وجهه لأنَّهم جميعا في سفينة واحدة.

¹ المرجع السابق، ص 267.

الخاتمة

إن قصص الحديث النبوي الشريف تقدّم ثقافة حياة شاملة وتعرض واقعا عمليًا في مختلف المجالات؛ في التربية والتعليم والعلاقات الاجتماعية والإنسانية، والاقتصاد والمال، والسياسة والحكم.

فهو ﷺ لم يعتن بالجانب التعبدي للمسلم على حساب ما يحيط به من واقع معيشي، بل على العكس كان يسعى دوماً إلى توجيه سلوكه اليومي في الحياة العملية، لأنّ الدين ليس حالة تعبدية فقط، بل هو منهج ربّاني يجمع بين المادّة والروح، بمعنى أنّ النفوس التي زكّتها وهذبّتها العبادة هي القادرة على تحقيق السياسة الرّاشدة بين الحاكم والمحكوم، وإعداد المجتمع الذي ينظّمه ميزان العدل وشريان التعاون، وتنمية الاقتصاد حتى تمتد أفياءه إلى الفرد والمجتمع.

وعليه فالقصة النبوية بهذا الهدف الأسمى الذي تصبو إليه والغاية النبيلة التي تسعى إليها تمتاز عن غيرها من الأعمال الفنيّة، وتتفوّق عليها في موضوعها وطريقة عرضها وإدارة حوادثها وأسلوبها المنفرد ما يجعلها صالحة للتّمثيل .

ولهذا من الضّروري تحويل القصص النبويّة إلى مسلسلات وأفلام حتى تكون فاعليّتها أكثر وتأثيرها أكبر في المجتمع، ولمحاربة الثقافات الأجنبية الهدّامة الوافدة إلينا عبر وسائل الاتصال المختلفة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتب:

- 1- أحمد بن حنبل، المسند، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، دط، 1955.
- 2- أ.م. فورستر، أركان القصة، تر: عباد جاد، مراجعة: حسن محمود، دار الكرنك، مصر، دط، 1960 .
- 3- البخاري، الصحيح، راجعه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط5، 2012.
- 4- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، دط، دت، ج2.
- 5- حسين القباني، فن كتابة القصة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر، مصر، دط، 1965.
- 6- الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ، ج3.
- 7- درويش جويدي، الأحاديث القدسية، المكتبة العصرية، بيروت، 2011.
- 8- صفى الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية، دار قصر البخاري، الجزائر، دط، دت.
- 9- طه عبد الله محمد السباعوي، أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.

- 10- عبد الرحمن بن عمر الشيباني، تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
- 11- عبد الله الصولة، الحجاج أطره ومنطلقاته ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية محكمة في الخطابة الجديدة، إشراف: حافظ إسماعيل علوي، ابن النديم للنشر، الجزائر، ط1، 2013.
- 12- علي سعيد إسماعيل، أصول التربية الإسلامية، دار الميسرة، عمان.
- 13- عمر سليمان عبد الله الأشقر، صحيح القصص النبوي، دار النفائس، الأردن، ط7، 2007.
- 14- ابن فارس، مقاييس اللغة: تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991، م5.
- 15- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 1978، ج2.
- 16- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تح: شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط14، 1990.
- 17- كمال عز الدين، الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، دار اقرأ، السعودية، دط، دت.
- 18- مأمون فريز جرار، خصائص القصة الإسلامية، دار المنارة للنشر، جدة، السعودية، ط1، 1988.
- 19- محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله تركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006، ج18.

20- محمد حسن الزير، القصص في الحديث النبوي، دراسة فنية موضوعية، المديرية العامة للمطبوعات، الرياض، ط3، 1985.

21- محمد زغلول سلام، دراسات في القصّة العربيّة، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1973.

22- محمد عبد الرؤوف، أدب الأطفال وبناء الشخصية (منظور تربوي إسلامي)، دار العلم، دبي، ط2، 1997.
محمد قطب

23- منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط8، 1993.

24- منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، بيروت، ط1، 2000.

25- مسلم، صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، ط1، 1993، ج1، ج2.

26- النووي، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، اعتنى به: محمد علي قطب، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة جديدة، 2005.

27- ابن هشام، السيرة النبوية، تح: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، ط1، 2003، ج4.

28- الهيتمي، مجمّع الزوائد ومنبع الفوائد، دار زاهد القدسي، القاهرة.

29- وليد رفيق العياصرة، التربية الإسلامية واستراتيجياتها العملية، دار المسيرة، الأردن، ط1، 2010.

الرسائل الجامعية:

30- فائزة سالم صالح يحي أحمد، التشبيه التمثيلي في الصحيحين، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1986/1985.

المجلات والدوريات:

- 31- آمنة بلعلی، الإقناع المنهج الأمثل للتواصل والحوار، نماذج من القرآن والحديث، مجلة التراث العربي، ع89، 23 مارس 2003.
- 32- حافظ محمد بادشاه، القصة النبوية، أهدافها وخصائصها الفنية، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان، ع22، 2015.
- 33- معتوق جمال وأوسرير محمد، الصحة الإيمانية الصحة الإيمانية والوقاية من السلوك الانحرافي(التربية الصوفية نموذجاً)، دفاثر مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة.

الفهرس

مقدمة..... أ- د

القصة النبوية

08 مفهوم القصة

10 مفهوم القصة النبوية

12 خصائص القصة النبوية

18 أشكال القصة النبوية

القصص ذات البعد التربوي

24 قصص محبة الله تعالى

24 قصة محبة الله تعالى للعبد

24 قصة أهل النظرة

25 قصة أهل الرضوان

26 قصة أيوب والبركة

27 قصص محبة رسول الله ﷺ

27 قصة الإسراء والمعراج

29 قصة أنا لها

29 قصة أمتي يا رب

32 قصة شفاعة المؤمنين

34 قصص الذكر

34 قصة الملائكة الطوافون

35	 قصة البطاقة الثقيلة
37	 قصص الحمد
37	 قصة الأبرص والأقرع والأعمى
40	 قصص العدل
40	 قصة نوح وأُمَّته
41	 قصة نبي ونملة
42	 قصص العفو
42	 قصة صوت من السماء
43	 قصة من يمنعك مني
44	 قصة المتجاوز عن المعسر
45	 قصص الصبر
45	 قصة طالب النصر
46	 قصة ماشطة ابنة فرعون
48	 قصص الرحمة
48	 قصة رجل وكلب
48	 قصة امرأة وهرة
48	 قصة مومسة وكلب
49	 قصص الحياء
49	 قصة موسى والحجر
51	 قصص التوبة
51	 قصة فاقد الراحلة

52	 قصة العبد يصيب ذنبا فيستغفر
52	 قصة الكفل
54	 قصة رجل وغصن شوك
54	 قصة قاتل المائة
55	 قصة يطلب أن يحرق
56	 قصص الحب في الله
56	 قصة الرجل الذي زار أخا له
57	 قصة قاتل نفسه
57	 قصة الرجل والخسف

القصص ذات البعد التعليمي

59	 قصة محاجة موسى آدم
59	 قصة سليمان والمرأتان
61	 قصة سليمان ونسائه
62	 قصة موسى والخضر
66	 قصة موسى وملك الموت
67	 قصة عيسى والسارق
68	 قصة اليهود والنصارى
69	 قصة الحشر
70	 قصة مدينة الذهب والفضة
70	 قصة أنعم أهل الدنيا وأشدّهم بؤسا
72	 قصة المسؤولية والجزاء

- 74 قصة الذي يدور في النار
- 76 قصة المذنب والعابد
- 77 قصة الشاب والزنا

القصص ذات البعد الاجتماعي

- 80 قصة زمزم
- 86 قصة أصحاب الغار
- 88 قصة المتكلمين في المهد
- 89 قصة جريج
- 90 قصة الأم والرضيع

القصص ذات البعد الاقتصادي

- 94 قصة جرة الذهب
- 96 قصة المقترض ألف دينار
- 99 قصة الأجير
- 100 قصة صوت سحابة
- 102 قصة المتصدق
- 104 قصة خلق الأرض

القصص ذات البعد السياسي

- 106 قصة أصحاب الأخدود
- 111 قصة سارة والملك
- 113 قصة النبي الذي حبست له الشمس
- 115 قصة سفينة الحياة

117	 الخاتمة
118	 قائمة المصادر والمراجع
122	 الفهرس

